وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

رقم:

الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830 م)

إعداد الطالبة: لعماري صبرينة

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ (ة)	المؤسسة الجامعية	الصفة
01	د.ة.السعدية بن حامد	جامعة المسيلة	رئيسا
02	د.النذير قوادرية	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
03	د.فاروق جياب	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445- 1446 هـ /2024-2025م

شكر وعرفان

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور قوادرية النذير المشرف على هذه المذكرة، الذي كان له الفضل الكبير بعد الله عز وجل في انجاز هذا العمل المتواضع .

لقد كان لمتابعته المستمرة، وتوجيهاته النيرة، ودعمه العلمي والمنهجي، الأثر العميق في بناء هذه الدراسة وصياغتها بالشكل الذي بين أيديكم.

وما تميز به أستاذي من صبر، ودقة في الملاحظة، والحرص على الجودة والصرامة الأكاديمية، ساعدني على تجاوز العديد من الصعوبات، وساهم في تطوير قدراتي البحثية والمنهجية.

كما لا يسعني الا أن أثمن عاليا سعة صدره وكرم أخلاقه وتواضعه في التعامل، وهي صفات جعلت من تجربة البحث تحت إشرافه، فرصة حقيقية للتعلم والنضج العلمي.

فله مني كل الشكر والتقدير، راجيا من الله تعالى أن يوفقه في مسيرته العلمية والمهنية، وأن يجعل ماقدمه من جهد وتفان في ميزان حسناته

كما لا يفوتني أن أشكر كافة الأساتذة لقسم التاريخ بجامعة المسيلة وأقول لهم دمتم فخرا لخدمة العلم وشكرا على مساعدتكم ونصائحكم

كما أشكر كل الطلبة والطالبات الأفاضل الذين لم يبخلوا علينا بشيء وكل من ساهم بصدق في تقديم المسا عدة لاعداد هذا البحث .

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التاريخ الاجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني، من المواضيع ذات الأهمية البالغة، وقد خصص له رصيد معرفي وتاريخي موسع، وظهر هذا الاهتمام بشكل خاص خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية، في أربعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر، كان هذا العمل في المقام الأول من إنتاج الجنود الفرنسيين الذين كانوا مهتمين بالأخلاق والعادات والتقاليد الجزائرية، من بينهم أوجين دوماس، الذي سجل العديد من الملاحظات والمساهمات حول المجتمع والمؤسسات القبلية، وحول الضيافة والصداقة بين القبائل العربية، وقد نشرت هذه الأعمال في دوريات مثل "الحوليات الجزائرية"، ومن الواضح أن هذه المعرفة استخدمت كأداة استعمارية لفهم المجتمع الجزائري بغرض إخضاعه والسيطرة عليه.

وفي هذا الخصوص نشأ تيار من المؤرخين الوطنيين الجزائريين، من بينهم المؤرخ أبو القاسم سعد الله سليل أسرة عريقة من منطقة وادي سوف، للرد على هذه الإدعاءات الاستعمارية الخطيرة على المجتمع الجزائري، أولا وقبل كل شيء، لأي سرد للحقيقة قد يستخدم أداة للقمع ويشكل خطرا على منتجي المعرفة الاستعمارية، فلقد ضمّ جنود الغزو الفرنسي، في صفوفهم، علماء يتحدثون عدة لغات، البربرية والشاوية والعربية. تحديدا لأنه كان من الضروري معرفة وفهم السكان المحليين للتمكن من اختراق وتغطية مساحة هذا البلد الكبير ألا وهو الجزائر.

أهمية الدراسة:

إن تاريخ الجزائر الذي كتبه المؤرخون في ذروة الاستعمار الفرنسي كان يسعى إلى تبرير الهيمنة الاستعمارية الفرنسية على المجتمع الجزائري، وكان هذا هو العامل المركزي في إضفاء الشرعية على الرواية التاريخية، التي تبرر الوجود الفرنسي في الجزائر إلى أنه استمرار لمشروع الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا، وتم التركيز على الطابع اللاتيني للجزائر، مع وجود ارتباط أسطوري قديم بين هذه المنطقة من شمال أفريقيا وجنوب أوروبا، واعتبر الاستعمار شكلا من أشكال استعادة امبراطورية مفقودة في المخيال الأوربي، والتي كانت أيضا أحد أقطاب المسيحية، فكان الرد من المؤرخ أبو القاسم سعد الله تفنيدا واضحا ومباشرا لهذه الأطروحة عن طريق التأكيد على عروبة الجزائر وإسلامها وهويتها الوطنية.

أهداف البحث في الموضوع:

من الأهداف الرئيسية لمعالجة هذا الموضوع هي أنّ المجتمع الجزائري واجه لعدة عقود إنكار تاريخه الخاص، وإنكار الخصائص الأساسية لشخصيته، سواء كانت مبنية أو في طور البناء، وهي تعد مرحلة حاسمة نحو استعادة الذات، من خلال إعادة البناء الداخلي الذي يتجلى داخل العائلات والقبائل والقرى والمدن، وفي الوقت نفسه تعزيز الهوية الوطنية وبناؤها على أسس معرفية وتاريخية.

بالإضافة إلى أنّ التاريخ الجزائري من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله قد ارتبط بالقومية ارتباطا وثيقا منذ بداياته من خلال نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1931 والتي تعتبر أول من دخل مجال كتابة التاريخ، ومن خلال عمله الضخم تاريخ الجزائر الثقافي فهو قد دحض وبمستوى مؤرخ حداثي الأطروحات الاستعمارية والتأكيد على الفكرة القوية لوجود الأمة الجزائرية.

دوافع البحث في الموضوع:

يشكل اهتمامنا بالمثقفين الجزائريين، والذين كانوا مهتمين بالصحافة والأدب والسياسة والمجتمع على رأسهم الدكتور أبو القاسم سعد الله أحد الدوافع الرئيسية لاختيار هذا العنوان، بالإضافة إلى رفع الحجة التاريخية حول وجود الأمة الجزائرية، كما نود أن نشير إلى أهمية التاريخ في الدفاع عن الأفكار القومية وكأداة للاستخدام السياسي من قبل الاستعمار.

طرح الإشكالية:

يعتبر كتاب المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي للجزائر، انعكاسا جادا للرؤية الوطنية، وجهدا علميا رائدا لإزالة السردية الاستعمارية من التاريخ الجزائري، من خلال تقديم طرح بديل يعيد احترام الهوية الوطنية بأبعادها الاجتماعية والثقافية، فالإشكالية الرئيسية في هذه الدراسة هي كيفية التعامل مع التاريخ الاجتماعي للدولة العثمانية، من منظور وطني يتعارض مع التصورات الاستعمارية للخطاب التاريخي المتوافق مع كتابات أبو القاسم سعد الله. وإلى أي مدى يمكن لهذا المشروع التاريخي أن يعيد تعريف فهم الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني؟ وما مدى فعالية نهج المجتمع الجزائري في التغلب على التصورات النمطية التي أدخلها الاستعمار الفرنسي؟

المناهج المتبعة:

لقد اعتمدنا في رحلتنا البحثية هذه على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي وبدرجة أقل المنهج التحليلي، من خلال تصورنا و رؤيتنا للوقائع التي عبرّ عنها الدكتور أبو القاسم سعد الله في مؤلفاته سواء تاريخ الجزائر الثقافي أو أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بالإضافة إل قراءة المجريات المتغيرة في حياة المجتمع الجزائري، للتعبير عن مكونات المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية من عرب وبربر ويهود وأندلسيين وغيرهم، والتعريف بثقافته وحضارته.

كما أنّ فترة الوجود العثماني في الجزائر، تمثلّ ظاهرة اجتماعية وتاريخية قابلة للدراسة وفق منهج يصف ويحلل الظواهر الاجتماعية، من خلال قراءة مختلف المصادر والمراجع المتاحة، وهذا المبدأ ذاته، قابل للتعميم على جميع الفترات التي أعقبت الوجود العثماني، بما في ذلك مرحلة الاستعمار والحياة الثقافية المعاصرة.

عرض وتقييم أهم المصادر والدراسات الحديثة:

من أهم الدراسات التي اعتمدنا عليها في بحثنا كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبو القاسم سعد الله، سجل فيه نقدا ثقافيا يتناول قضايا الأدب، و مشكلات النقد، وأشكال الفنّ الأخرى، كالرسم والعمارة والنحت والموسيقى والمسرح والفن السابع، في الحقب التاريخية المختلفة، فكلّ حقبة تميّزها مكونات ثقافية واجتماعية معينة.

راعى فيها مؤرخنا عدة عوامل منها عامل الفترة التي ألّف فيها الكاتب مؤلفه، وهي فترة استقلال الجزائر، التي تمثّل محاولة إلى الرجوع إلى الذات، وتقييم المشاريع التي تسهم في بناء المجتمع الذي تعرّض لكثير من التشويه في حقبة الاستعمار والعامل الثاني هو الحقب التاريخية التي وصفها بحثه، وهي فترة طويلة يحاول المؤرخ أن يجمع مكونات الهوية الوطنية بالرجوع إلى الماضي، هذان العاملان لهما أثرهما البالغ في اعتماد المؤرخ على مبادئ الدراسات الثقافية وأسس النقد الثقافي، في قراءته للوثائق.

خطة البحث:

ومن أجل معالجة الموضوع بطريقة ممنهجة، قمنا بضبطه وفق الخطة الآتية والتي احتوت على **فصل تمهيدي** شمل العناصر الآتية:

-تقديم عام حول الوضع السياسي والعسكري والثقافي للجزائر خلال الحقبة العثمانية.

-أهمية دراسة الحياة الاجتماعية خلال هذه الفترة.

-تقديم موجز حول أبو القاسم سعد الله وأعماله المرتبطة بموضوع الدراسة.

وتضمنت كذلك فصلين آخرين، **الفصل الأول بعنوان: الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية وفيه:**

المبحث الأول: البنية الاجتماعية ومظاهر الحياة اليومية في الجزائر العثمانية

-الطبقات الاجتماعية

-العادات والتقاليد الاجتماعية.

-الأنشطة الاقتصادية وأثرها على الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: المؤسسات الاجتماعية

-المستوى التعليمي

-المؤسسات التعليمية

-الأوقاف والخدمات الاجتماعية المرتبطة بها

أمّا **الفصل الثاني فجاء بعنوان: قراءة تحليلية لكتابات أبو القاسم سعد الله حول الحياة الاجتماعية** وفيه:

المبحث الأول: منهجية أبو القاسم سعد الله في دراسة الحياة الاجتماعية

-الأسس المنهجية التي اعتمدها في كتابة التاريخ.

-مصادره وأسلوبه في دراسة الجوانب الاجتماعية.

المبحث الثاني: تحليل نصوص أبو القاسم سعد الله

-أبرز القضايا الاجتماعية التي تناولها

-رؤيته وتفسيره للحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية

المبحث الثالث: نقد وتقييم كتابات أبو القاسم سعد الله

-تحليل نقاط القوة والضعف في تناوله للموضوع

-مدى اعتماده على منهج علمي في تحليل الحياة الاجتماعية.

-مقارنة رؤيته برؤى مؤرخين آخرين.

وأخيرا خاتمة، تضمنت أهمّ النتائج المتوصل إليها والتوصيات.

واما المراجع التي اعتمدنا عليها نذكر منها **عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية 2015**.

عالج من خلاله أهم المعالم الأثرية التي تعود إلى الفترة العثمانية منها جامع سوق الغزل، والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني، وخرج بنتيجة مفادها أنّ المعالم المدروسة تشهد على تنوع معماري وفني كبير شهدته مدينة قسنطينة طيلة الحكم العثماني.

عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1830-1700 مقاربة اجتماعية – اقتصادية المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبية، الجزائر.

عالجت من خلاله أحد أشكال التنظيم الاجتماعي لسكان المدن وهو التنظيم الحرفي، وهو من الكتب المهمة لاعتماد صاحبته بالدرجة الأولى على الوثائق المحلية وعلى وجه التحديد سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر التركات الصادرة عن مؤسسة بيت المال. وتذهب الدكتورة غطاس في مقدمتها إلى أن الهدف المتوخى من هذه الدراسة هو البحث عن القوى الاقتصادية والاجتماعية الفاعلة في مدينة الجزائر من خلال دراسة واقع التنظيمات الحرفية والمهنية التي كانت تسمى وقتئذ بالجماعات الحرفية.

المشاكل والصعوبات:

من بين الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا الموضوع قلة الدراسات المتخصصة في الحياة الاجتماعية بالجزائر العثمانية، فمعظم المؤرخين اهتموا بدراسة الجانب السياسي والعسكري، بالإضافة إلى صعوبة التحرر من الاعتماد على المراجع الفرنسية التي أرخت لتاريخ الجزائر العثماني، كما لا ننسى بعض الصعوبات الشخصية وهي مشكلة التنقل بين البيت والمكتبة للحصول على بعض المراجع.

الفصل التمهيدي

نظرة عامة على الجزائر في العهد العثماني

المبحث الأول: تقديم عام حول الوضع السياسي والإجتماعي والثقافي للجزائر خلال الحقبة العثمانية.

نبذة عن حياة أبو القاسم سعد الله:

يعدّ الأستاذ أبو القاسم سعد الله أحد مفاخر الجزائر وأحد شخصياتها العلمية وأحد رموزها الثقافية الخالدة، خلود جبال جرجرة و الأوراس. ولد سنة 1930 في قرية گمار، وهي قرية تقع في واحة واد سوف العتيقة، المعروفة بأنها أنجبت علماء عظماء أضاءوا سماء الجزائر والبلاد العربية والعالم أجمع.

أنهى أبو القاسم سعد الله دراسته الابتدائية في قريته حيث تعلم القرآن الكريم، منغمسا في قيم الأصالة واكتساب الثقافة الأصيلة. وهكذا ترسخ في نفسه حب الوطن، هذا الوطن الذي قضى حياته كلها يعمل من أجل سموه وسيادته، والدفاع عنه، والتعريف بتراثه، والمشاركة في ثورته التي يصفها: "لقد جرت الثورة في عروقي ورافقتني في رحلاتي ومشاعري"[1].

سافر إلى عدة دول منها تونس ومصر والولايات المتحدة طلباً للعلم. كان دائمًا يتفوق على أقرانه، مُظهرًا براعة مبكرة، إذ كان يُبجّل المعرفة والعمل، إذ اعتبرهما خير وسيلة لتحقيق الغايات النبيلة، التي قال عنها: "قلمي لن يفلت مني ولن يعرف استراحة. الكتابة داءي ودوائي، غذائي وهوائي الذي أتنفسه. عندما أكتب، أكون راضيًا عن نفسي، وأغضب إن لم أكتب، ثم يمرّ اليوم كأنه سُرق من حياتي"[2].

وفي عام 1965 عاد إلى الجزائر بعد حصوله على الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية من جامعة مينيسوتا في الولايات المتحدة. أصبح أستاذاً ومدرباً وباحثاً ومديراً لرسائل الماجستير والدكتوراه والبحث في التاريخ بقسم التاريخ بجامعة الجزائر، متنقلاً بين الجامعات العربية والغربية ومحاضراً، مساهماً بعلمه ومهاراته المتنوعة.

---

[1] مريم خالدي، السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله، مجلة الخلدونية مجلد 9 العدد1 تيارت 2016، ص247.

[2] الحاج العيفة، السيرة الذاتية لشيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية العدد 1،2015 ص 25.

سيرته العلمية:

كان أبو القاسم سعدالله مهتمًا بالأدب، حيث برع فيه، وتناول الشعر والقصة القصيرة والمقالة. كان فريداً من نوعه، بل ومستكشفاً، كما يؤكد الأستاذ أحمد حمدي: «كان أول من نشر عام 1967 ديوان «النصر للجزائر» وهو ديوان شعر جزائري معاصر، وأول من نشر أول رواية في الأدب العربي، رواية مصطفى بن إبراهيم، في وقت كان الجميع يظن أن رواية هيكل «زينب» هي أول رواية عربية».

تخصص في التاريخ وكتابة السير والتحقيقات. أصدر في عشرة مجلدات كتاب "التاريخ الثقافي للجزائر" وهو أهم أعماله والذي قال عنه: "هدف بحثي هو كتابة عمل يوضح مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الإنسانية عبر العصور" توفي رحمه الله سنة 2013[1].

المطلب الأول: الأوضاع السياسية والعسكرية.

شكلت الفترة ما بين عامي 1518 و1562، لحظة حاسمة في تاريخ الجزائر، حيث اهتز ميناء الجزائر العاصمة، وهو مكان أساسي في الحرب البحرية في البحر الأبيض المتوسط، بسبب سلسلة من الأزمات والانقلابات المرتبطة بممارسة السلطة السياسية، وفي القرن التاسع عشر، حجب التأريخ المستوحى من الاستعمار والذي كان مهتمًا به إلى حد كبير الجانب المتعدد الأعراق للمجتمع الجزائري في الحداثة الأولى – مجموعة من القبائل البربرية والأندلسيين واليهود والمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام والأتراك المشرقيين – وفضل الأوجه المرتبطة مباشرة بالقارة القديمة. وبعيدًا عن جعل هذا التعقيد منظورًا للتحليل، ركز المؤرخون بعد ذلك على ظاهرة الجهاد البحري وشددوا على الدور الأساسي للمسلمين الجدد، "المرتدين" في المصادر الأوروبية. على الرغم من أن بعض الأعمال حاولت، على مدى العقود الماضية، تحديد مكانة هذه المكونات الاجتماعية المختلفة وتفاعلاتها داخل مجتمع الجزائر العاصمة بشكل أفضل، فقد ساهم توجه الأغلبية في الدراسات حول الحرب العرقية في اختزال أداء مجتمع الجزائر في صراع فصائلي بسيط بين "الأتراك حسب الأصل" و"الأتراك حسب المهنة".

[1] فاطمة عسول ، حمزة حمادة، أبو القاسم سعد الله من السيرة الذاتية إلى المسيرة العلمية–وقفات وقراءات في أعمال أدبية مختارة–، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد23، العدد1، 2022، ص140-141.

أدى تعزيز سلطة الأول في المجال العسكري (الإنكشارية) وسلطة الأخير (القراصنة المنشقين) في الشؤون البحرية إلى إنتاج تاريخ الجزائر الذي اقتصر على هذا الانقسام الفردي إن السيطرة على السلطة، على الرغم من خضوعها بشكل متزايد لسلطة سلاطين إسطنبول، لم تكن محل نزاع إلا بين "الأتراك" الموجودين في المغرب العربي، وكانت ستعتمد على السيطرة الوحيدة على وسائل الإنتاج: خوض الحروب لصالح المرتدين وجمع الضرائب المحلية للإنكشارية[1].

أكد الجدل التاريخي المتعلق بأساليب الإدارة اللامركزية للإمبراطورية العثمانية على أهمية البيت كوحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية تساهم في تعزيز سلطة أعضاء النخبة الإدارية العسكرية ليس فقط في إسطنبول ولكن أيضًا في المقاطعات الناطقة بالعربية في الإمبراطورية باتباع هذا الخط من البحث، فإن تحليل إدارة الولاة الأوائل لمختلف مقاطعات الجزائر يجعل من الممكن تسليط الضوء على تشابك العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تشكل العنصر الرئيسي لإضفاء الشرعية على السلطة السياسية كما يتبع تشكيل وتطور منزل الحاكم المحلي تطور مدن السواحل من ميناء بسيط في شمال إفريقيا إلى إحدى مقاطعات الإمبراطورية العثمانية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر[2].

لقد تمّ إنشاء الوحدة الإدارية العسكرية الجزائرية مايسمّى بالعثمانية الاوجاق، بالتزامن مع الفتح العثماني للإمبراطورية المملوكية (1516-1517)، وهو في الواقع يرتبط ارتباطًا مباشرًا بتأسيس الولاية العثمانية في المغرب العربي عام 1518. ويبدو أن الهجوم على المغرب الأوسط والغربي، والذي توج بعدة انتصارات، أعطى السيطرة على المنطقة بأكملها للإسبان[3]، وفي ضل ها الصراع كانت مدينة الجزائر قد سلمتهم سنة 1511 إحدى الجزر التي سدت مينائها، وللتخلص من التهديد الذي يشكله الحصن الذي بنوه هناك، لجأ السكان إلى القراصنة العثمانيين عروج وأخيه خير الدين بربروس اللذين كانا يعملان في المنطقة وفي وقت قصير

[1] احمد سالم، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، 2011، ص84-85.

[2] جواد سماحي، البعد الإقتصادي للصدام العثماني الأوربي في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 10هـ/16م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد4، العدد2، سبتمبر 2021، 496-497.

[3] محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512-1543)، الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص19.

جدًا، استولى القراصنة[1] على السلطة في المدينة، وبدأوا في توسيع أراضيهم حولها في مواجهة مقاومة شرسة وبعد خسارة شقيقه عروج، أدرك خير الدين أن أفضل طريقة لمواجهة الإسبان والقوى المحلية هي الالتفاف حول الإمبراطورية العثمانية[2].

وبعد أن استجاب لطلبه بالإيجاب كان السلطان سليم الأول (1512–1520) [3] قد منح خير الدين لقب الوالي العام (بيلربيه) وأرسل إلى ولاية المغرب العثمانية الجديدة، وعاصمتها مدينة الجزائر، قوة قوامها ألفي إنكشاري برفقة أربعة آلاف متطوع يستفيدون من نفس الامتيازات التي يتمتع بها الإنكشارية وشكل هؤلاء الجنود أساس الجيش الإنكشاري الجزائري ومنذ إنشائه، وجد الفيلق الإنكشاري منافسا له في هذا البلد، وهو مجموعة القراصنة، التي شكلت أهميتها الاقتصادية وقوتها العسكرية تحديا دائما لتفوقها في القرن السادس عشر، عيّنّ عدد من حكام المقاطعات من بين صفوف القراصنة، وأصبح بعضهم قادة في البحرية العثمانية، وبقدر ما قام القراصنة، من جانبهم، بتجنيد كل من الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام (المرتدين) والجزائريين، لم يعد لدى الفرق العسكرية العديد من الفرص لتجنيد جنود محليين لقد تجاوزت المنافسة بين القراصنة والإنكشارية مشكلة التجنيد، بل تطرقت أيضًا إلى مشكلة الدخل (خاصة الذي يأتي من السباق البحري، الذي يعتبر أهم مصدر للأموال) ومنذ عام 1568، حصل الإنكشاريون على حق الانضمام إلى التنافس البحري، وفي نهاية القرن السابع عشر، نجحت الميليشيا العثمانية في دمج جماعة القراصنة في وسطها، على مدى القرن السادس

[1] لقد ظهرت القرصنة كرد فعل على الحظوة التجارية التي تنالها الدول الأوربية دون غيرها بل ظهرت كنوع من الحروب الإضطرارية، لدى المجتمعات الساحلية العاجزة إقتصاديا، والتي تحتاج لتحقيق تطور معيشي من خارج البنيات الإنتاجية التي تتوفر عليها، في الوقت الذي تتابع فيه بنوع من التذمر حركة السفن الأجنبية المحملة بالبضائع، كما أنه قد يكون دافعها العداء ومناوئة المجتمع التجاري فتكون حملاتها نتيجة أشكال حروب الإستنزاف الإقتصادي للمزيد من المعلومات ينظر، حمزة زيتوني إسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد9، 2018، ص126.

[2] خديجة دوبالي، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية(911–1505/917–1511)، مجلة القرطاس، ع6، 2017، ص27.

[3] تذكر المراجع أن السلطان سليم الأول بذل جهدا كبيرا لترقية البحرية العثمانية ، لتحقيق غرضه ذاك – ربط الجزائر بالباب العالي – وبذلك ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، وأصبح خير الدين حاكما لها مرسما من السلطان العثماني، وقد أمر هذا الأخير بالمساعدة العسكرية، التي كان في حاجة ماسة اليها، حيث أرسل إليه 2000 جندي، وسمح بالذهاب الى الجزائر لكل من يريد ذلك من الأتراك، ولهم نفس الامتيازات التي يتمتع بها الانكشاريون في عاصمة الدولة، ينظر، عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، ط1، 1978، ص490–491.

عشر تقريبًا، كانت مقاطعة شمال إفريقيا بمثابة منطقة حرب بين الإمبراطورية العثمانية وعائلة هابسبورغ الموجودة في إسبانيا. وقد أدت الهدنة الموقعة عام 1580 بين فيليب الثاني ومراد الثالث إلى تقليص حجم الحرب في المنطقة، لكنها لم تحقق السلام في عام 1587، تم تقسيم المغرب العثماني إلى ثلاث مقاطعات، أقيمت حيث ستنشأ الدول الثلاث الحديثة: ليبيا وتونس والجزائر، ويحكمها بشوات يُرسلون من إسطنبول لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات (البشوات التي تدوم ثلاث سنوات). إن تقسيم المغرب العربي إلى ثلاث مقاطعات هو علامة على تضاؤل أهمية كل واحدة منها بالنسبة للمركز الإمبراطوري ومن المفارقة أن المحافظة الجزائرية ستواجه مخاطر الحرب لعدة قرون، وقد أدى إنشاء ولاية الجزائر إلى إطلاق عملية استيلاء الميليشيات على السلطة من أيدي الحاكم العام[1].

يُطلق على الفترة ما بين 1518 و1587 اسم الفترة البايلربية وكما رأينا، كان الحاكم العام في ذلك الوقت في أغلب الأحيان هو الشخص الذي بدأ حياته المهنية داخل منظمة الجهاد البحري وهكذا فإن خير الدين باشا، الذي كان البيلربي الأول لإقليم المغرب، كان قرصانًا قبل أن يصبح واليًا عامًا على المغرب العربي وعندما تم استدعاؤه إلى إسطنبول عام 1533 لتولي قيادة البحرية العثمانية، عين ملازمه حسن آغا حاكمًا نيابة عنه. ولد هاديم حسن في سردينيا حيث تم القبض عليه عندما كان طفلا من قبل القراصنة الجزائريين، وأصبح عبداً لخير الدين الذي أطلقه فيما بعد ومنذ تلك اللحظة بدأ صعوده وأصبح الرجل الموثوق به لسيده، ثم حاكم المقاطعة باسمه[2] بعد انتصار الجزائر على شارل الخامس عام 1541، حصل هاديم حسن على لقب باشا من السلطان سليمان (1520-1566) ويعد صعود حسن باشا، الذي بدأ حياته عبدا، إحدى السمات المميزة لبيت أعضاء النخبة العسكرية والإدارية للدولة العثمانية بشكل عام، ومنزل الحكام العامين للدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري[3].

---

[1] جمال الدين سهيل، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11م/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد13، 2011، ص140-144.

[2] عائشة بابا، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني (1519-1830)، حوليات كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة مولاي الطاهر سعيدة، العدد4، 2017، ص348.

[3] سعيدبوزرينة، حكم الدايات في الجزائر حسن باشا أنموذجا (1205-1212هـ/1791-1798م) سياسته ومنجزاته المعمارية، جامعة نور البشير-البيض، ص95.

لم يقتصر تشكيل البايلربايات على مركز الإمبراطورية في إسطنبول ففي المقاطعات أيضًا، قام الحكام بتصميم مركز إدارة خاص بهم على غرار نموذج السلطان، ولكن على نطاق مصغر، عملت هذه المراكز على التجنيد والاندماج في النخبة العسكرية والإدارية في المقاطعات والمراكز الإمبراطورية. منذ نهاية القرن السادس عشر، وخاصة خلال القرن الثامن عشر، أصبحت الوحدة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الرئيسية في المقاطعات العثمانية[1].

وبدراسة المداخل المتعلقة بالجزائر في القرن السادس الهجري في معجم السيرة الصقلي العثماني نجد أحد عشر ملخصا لسير ولاة هذه الولاية بالإضافة إلى المؤسسين (عروج وخير الدين)[2]، أصبح ستة أشخاص – ابن خير الدين ورجاله الذين بدأوا حياتهم المهنية تحت ولايته أو تحت رجال خدموا في عهد خير الدين – حكامًا للجزائر ويورد المؤرخ المسمى "ابن المفتي" قائمة حكام هذه المحافظة ومن 1517 إلى 1587، كان هناك أربعة عشر منهم بما فيهم خير الدين وكان تسعة منهم على الأقل مرتبطين بشكل مباشر أو غير مباشر بسلطته[3] ولذلك نرى الدور الحاسم للآغا في اختيار بايلر المغرب ثم الأمير الأكبر (1533-1546)، الذي كانت له علاقات مع كبار المسؤولين في الدولة في قلب الإمبراطورية ويبدو أن تأثير الآغا حدث في وقت كانت فيه المحافظة مرتبطة بشكل مباشر بالمركز، وكان نظام معمولا به كأداة تجنيد فعالة ووسيلة للاندماج في النخبة العثمانية الإقليمية وكذلك في التسلسل الهرمي الإمبراطوري. وكان هذا أيضًا هو الوقت الذي كانت فيه الجزائر بمثابة منطقة عازلة بين الإمبراطوريتين العثمانية والإيطالية[4].

إن نظرة إلى مركز الإمبراطورية وكذلك إلى تاريخ الولايات الأخرى تظهر بوضوح أن التطورات في الجزائر كانت جزءًا من عملية أوسع، يطلق عليها عادة "أزمة القرن السابع عشر"، والتي لم تستثن شمال أفريقيا العثمانية هذه

عبارة عن سلسلة كاملة من المشاكل التي كانت نتيجة لمجموعة من التغيرات الديموغرافية (نمو سكاني كبير للغاية) والتغيرات الاقتصادية التي أدت إلى ارتفاع الأسعار، تشير التقديرات إلى إزدياد عدد سكان مدينة

---

[1] عبد الكريم شوقي، تطور الوضع السياسي والعسكري في عهد الدايات العاديين بالجزائر(1671-1711م) مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد7، العدد2، 2023، ص30.

[2] حسين ابن المفتيي رجب شاوش، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح، فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص39.

[3] فارس كعوان، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص39.

[4] أمين محرز، الجزائر في عهد الآغاوات (1659-1671)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص56.

الجزائر في أواخر القرن السادس عشر، ولم يقتصر السبب على النمو الطبيعي وحده بل أيضا بشكل أو بآخر. وصول أعداد كبيرة من المسلمين المطرودين من إسبانيا، فضلاً عن زيادة عدد الإنكشارية كما ساهمت نجاحات القراصنة في نمو السكان من خلال جلب العديد من الأسرى إلى الجزائر[1].

ومن الواضح أن مدينة الجزائر لا يمكن أن تكون المقياس الذي يمكن من خلاله تقييم وضع الولاية برمتها، خاصة وأن نمو سكانها، لم يكن نتيجة النمو الطبيعي وحده. ومع ذلك، فإن عدم استقرار الوضع في الريف، والتمردات والمجاعة التي سادت هناك في ذلك الوقت، إذا لم تكن مفيدة في التقييم الكمي للسكان، فهي على الأقل مؤشرات على وجود اضطراب اجتماعي وأن التمردات في البلاد أثرت على وضع الريف، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، نموذجيًا للجزائر العثمانية وسواء كان السبب وراء هذه الوعكة هو عجز الريف عن إنتاج ما يكفي لعدد متزايد من السكان أو الضرائب المرتفعة بشكل مفرط، فإن النتيجة كانت واحدة وهو الصراع من أجل توزيع الدخل بين مختلف مكونات النخبة العسكرية والإدارية في الجزائر في القرن السابع عشر في المحافظة بأكملها[2].

في نهاية القرن السادس عشر، زادت رواتب الإنكشارية إلى حد أن إيرادات المحافظة لم تكن كافية. وفي عام 1593، طلب الوالي شعبان باشا (1591-1594) من السلطان الإذن بمشاركة الإنكشارية في السباق، لزيادة دخلهم وتخفيف أعبائه حقيقة أن الإذن قد تم منحه بالفعل للإنكشارية للانضمام إلى السباق في عام 1568 قد تشير إلى أنه لم يتم التصرف بناءً عليه، على الأقل بطريقة مرضية للإنكشارية. وكان الباشا قد طلب فرض ضريبة على جزء أكبر من غنائم القراصنة لصالح خزانة المقاطعة تم حل المشاكل المتعلقة برواتب القوات الإمبراطورية في أوقات التضخم السريع في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر من خلال السماح للإنكشارية "بزيادة رواتبهم من خلال الأنشطة اللامنهجية المختلفة، إذا كان هذا يعني بالنسبة لأجزاء أخرى من الإمبراطورية أن الإنكشارية قد انخرطت في التجارة والأنشطة الاقتصادية الأخرى فلا بد من القول أن السباق، وهو النشاط الأكثر ربحًا في المقاطعة، كان جذابًا للغاية بالنسبة لأجزاء أخرى من

[1] عبد الرحمن نواصر، جوانب من تأثير القرصنة في النشاط الإقتصادي لمدينة الجزائر من سنة (1670-1815م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية المجلد7، العدد2، 2023، ص1007-1008.

[2] ناصر الدين سعيدوني، نظرة في التاريخ الإقتصادي للجزائر في العهد العثماني، سيرتا، العدد3، 1980، ص17-39.

الإمبراطورية أي إنكشارية الجزائر، ومن هنا جاء هذا الطلب. نلاحظ بشكل عابر أن مشاركة إنكشارية الجزائر العاصمة في النشاط الاقتصادي للمدينة في القرن الثامن عشر كانت ضئيلة[1].

وفي وصفه للوضع في نهاية القرن السادس عشر، يرى جوليان أنه "كان على الباشا أن يكتفي بكونه واليًا على الأوجاق، وعادةً ما يُعتبر عصيان الإنكشارية وقوة القراصنة سببًا في تراجع سلطة الحاكم منذ نهاية القرن السادس عشر إلا أن هذه الظاهرة أثرت على معظم الولايات العثمانية ويمكننا أن نضيف إليها قرارات الحكومة المركزية مثل تلك الخاصة بتحديد مدة شغل منصب حاكم الولاية أو تنظيم نظام كامل من السلطات المضادة لسلطتها ناهيك عن الصعوبات التي يواجهها المحافظون في السيطرة على الجنود، بما في ذلك القوات المحلية. تفسر هذه العوامل الأخرى تراجع سلطة الباشا في كل مكان في الإمبراطورية[2].

لقد رأينا أنه في نهاية القرن السادس عشر، لم يعد الحكام قادرين على ضمان دفع رواتب الإنكشارية، الأمر الذي أصبح مزمنًا طوال القرن السابع عشر وبحسب مورفي، كان هذا هو الوضع في معظم الولايات العثمانية في ذلك الوقت، لأن منصب الحاكم لم يعد يُنظر إليه على أنه "مكتب مقدس"، بل كاستثمار مالي من جانب الحكام الذين اضطروا إلى شراء رسومهم. ولم يكن الأمر مختلفاً بالنسبة للولاية الجزائرية. وفي مواجهة الحاجة إلى استرداد الثمن المدفوع للحصول على منصب الحاكم بسرعة، كان الباشا في كثير من الأحيان غير قادر (أو غير راغب) في دفع الأعداد المتزايدة من الإنكشارية. في مواجهة الميليشيات المتنامية ومنظمة القراصنة في ذروة قوتها[3].

خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، كانت السلطة العثمانية تحت تهديد مستمر، خاصة في الأناضول، ولكن أيضًا في مناطق أخرى، بالإضافة أنّ الأحداث السياسية في المحافظة، والصراع على السلطة والدخل بين أجزاء مختلفة من النخبة العثمانية في الجزائر، يجب دراستها في إطار أزمة القرن السابع عشر، أي

[1]Shuval Tal, 1998. La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle population et cadre urbain. CNRS, Paris, p252-254.

[2] جوليان شارل أندري ،تاريخ إفريقيا الشمالية، تر، مربي البشير بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، 1985، ص13-15.

[3] محمد بوشنافي، الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر (1700-1830)، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بلقاسم بوعلام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة وهران، 2001-2002، ص42.

كجزء من ظاهرة أكبر، وإلى جانب تقديم طبيعة الأوجاق المتمردة كطابع نموذجي للجزائر في القرن السابع عشر فإنه يخفي حقيقة أن هذه كانت حركة أثرت في الواقع على معظم ولايات الإمبراطورية.

وهكذا، في عام 1631، على سبيل المثال، عزلوا الوالي موسى باشا، وبعد ذلك بعض الولاة الآخرين لم تكن مصر المقاطعة الوحيدة التي اندلعت فيها ثورات مماثلة لتلك التي اندلعت في سيلالي. كانت هذه ظاهرة شائعة إلى حد ما في العديد من المناطق حتى عهد الصدر الأعظم محمد كوبرولو الذي تولى زمام الأمور في عام[1] 1656.

وفي هذا السياق يجب أن ندرس واقعة الثورات التي قامت بسبب شركة القراصنة، والوضع خلال هذه الفترة في الجزائر يرسم صورة لمزيج من النجاحات والإخفاقات: انتصارات القراصنة وكذلك بعض الهزائم، في حين تورط الإنكشارية في قمع العديد من الثورات في الريف، دون نجاح في كثير من الأحيان تم إلقاء العديد من المحافظين في السجن من قبل الإنكشارية الذين لم يتقاضوا رواتبهم علاوة على ذلك، احتدم الصراع بين مجموعات الإنكشارية وأبناء الإنكشارية من الأمهات الأصليات (كول أوغلو) داخل مدينة الجزائر ويبدو أن زعيم الطائفة كان الوحيد القادر على السيطرة على الوضع في المحافظة بفضل ثروته الشخصية وقوة القراصنة الذين كان يترأسهم[2].

وفي عام 1638، تلقى الأسطول الجزائري أوامر من السلطان مراد الرابع (1623-1640)[3] بالانضمام إلى البحرية العثمانية في الحرب التي كانت الإمبراطورية تدعمها ضد البندقية على رأس رجاله ومع بعض سفنه الشخصية، لكنه رفض في عام 1645 الانضمام إلى البحرية العثمانية. وفي الوقت نفسه، قام بتأمين دفع رواتب الإنكشاريين، ولكن بعد ذلك، في نهاية مايو 1645، غادر مدينة الجزائر على عجل "لكي لا يدفع

[1] سعاد بولجويجة، تطور منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية بين قوة السلطة وطموح العرش 1656/1327م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية المجلد8، العدد4، 2023، ص254-274.

[2] رابح كونتور، الجيش الإنكشاري في الجزائر بين 1519 و1830، مجلة أفكار وآفاق، المجلد9، العدد2، 2021، ص85-103.

[3] هو ابن السلطان أحمد الأوَّل ابن السلطان محمد الثالث. ولد سنة 1609 وولاه الانكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأوَّل ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنه كي لا يكون معارضًا لهم في أعمالهم الاستبدادية، ولا مضعفًا لنفوذهم الذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره، واستمروا مدَّة العشر سنين الأولى من حكمه على غيهم وطغيانهم، ينظر، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي، 2014، ص179.

للفرق العسكرية، وما يبدو مختلفا في الحالة الجزائرية ليس قرار الديوان بإزالة بقايا سلطته من الباشا، بل رد فعل الصدر الأعظم كوبريليو محمد باشا. وبدلاً من إرسال قوات مسلحة ضد المتمردين، كما فعل في حالات مماثلة، سارع إلى قطع العلاقات بين المركز والمحافظة.

وعندما وصل الفرمان إلى الجزائر العاصمة[1]، أُرسل رسول إلى سميرنا لإبلاغ الصدر الأعظم[2] بالقرار الذي اتخذه الديوان بقبول أي باشا يريد السلطان أن يرسله لهم بقي الرسول في سميرنا أكثر من عام دون أن يحصل على مقابلة مع الصدر الأعظم. وتكمن أهمية الحادثة في الطريقة القاطعة التي أوضح بها محمد باشا لقادة الجزائر أنه لا يحتاج إليهم، وأنه لا يريدهم. ولا بد أن هذا بدا واضحا بالنسبة لهم، إذ لم يكن الرسول الجزائري قد حظي بالمقابلة حتى إعدامه، الذي تعرض له بعد أكثر من عام. فقط في عام 1661، بعد وفاة كوبرولي محمد باشا وتعيين ابنه فاضل أحمد باشا صدرًا أعظم، تم إرسال باشا، بوشناق إسماعيل باشا، إلى الجزائر العاصمة[3].

من الواضح أنه لم يعد للباشا أي سلطة وأن الإنكشارية، الذين انتصروا في المعركة ضد القراصنة، أصبحوا السادة الحقيقيين للإقليم. لقد كشفت الحلقة التي تحمل اسم "ثورة آغا" عن نقطة ضعف الأوجاق. لقد أثبت الصدر الأعظم أن الأسطول الجزائري يحتاج إلى الانتماء إلى الإمبراطورية أكثر من حاجة المركز إلى الولاية الجزائرية البعيدة. كان أفراد النخبة العثمانية مدركين تماما للأسباب التي دفعت خير الدين إلى طلب الحماية من الإمبراطورية لا تزال قائمة. ولا يزال التهديد الأوروبي يلقي بثقله على هذه المحافظة، ولم تكن العلاقات مع الجارة المغربية في الغرب، كما مع المحافظة التونسية في الشرق، ودية دائمًا. كانت هيبة الإمبراطورية ضرورية أيضًا لاسترضاء القوى المحلية. لم يكن إبعاد أنفسهم عن مركز الإمبراطورية خيارًا بالنسبة لهم، لقد عرفوا ذلك، والآن

---

[1] أحمد الراشدي بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني، تح، الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص135.

[2] تعاقب على منصب الصدارة العظمى المدنيون والعسكريون وقد تطور هذا المنصب مع مرور الوقت وفق مراحل خضعت للعديد من الظروف والعوامل أدت إلى إحداث تغييرات مختلفة تزيد من سلطات الصدر الأعظم من جهة وتحدّ منها من جهة أخرى ،منذ قيام الدولة العثمانية حتى مطلع القرن 15م كان يتم اختيار الصدر الأعظم من أحد أبناء العائلات التركية التي أسهمت في قيام الخلافة، ينظر، سعادبوجويجة، المرجع السابق ص260.

[3] سهام بومنير، نادية طرشون، أحمد جودت باشا المؤرخ والمصلح العثماني، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، المجلد1، العدد3، 2021، ص5-16.

أصبح من الواضح أن قادة الإمبراطورية يعرفون ذلك أيضًا. ويبدو أن اعتماد المحافظة على المركز هو الذي حدد سلوك الأوجاق من خلال منعه من توتر العلاقات مع إسطنبول أكثر من اللازم.

وتتميز العلاقات بين الجزائر والمركز بتهميش متزايد لهذه الولاية منذ نهاية القرن السادس عشر، ولكن أيضا بالحاجة الدائمة إلى انتمائها إلى الإمبراطورية من أجل ضمان حمايتها من القوى والمباني الأوروبية. وكما اكتشف داي علي تشاووس، كان رئيس المقاطعة يحتاج أيضًا إلى المكانة التي منحها له تعيينه باشا من قبل السلطان من أجل استقرار الوضع داخل النخبة العثمانية. يبدو أن ثورة الأغاس قد شكلت "مفترق طرق تاريخي" للإنكشارية. ويمكنهم اختيار "الحل على الطريقة التونسية" أو من ناحية أخرى المصالحة مع المركز. كان الحل التونسي يتضمن تجنيد جنود محليين، وتأسيس سلالة محلية، وبالتالي تخفيف العلاقات مع المركز. لكن الإنكشارية اختاروا الحل الآخر، وهو الحل الذي يحافظ على اعتمادهم على المركز، وكذلك التجنيد في مركز الإمبراطورية، وهو مفتاح نظام الأوجاق، أي في يد السلطانن وهي طريقة واضحة للنخبة العثمانية في الجزائر، حيث حاولوا الحصول على أكبر قدر ممكن من الحكم الذاتي، مع إظهار ولائهم للسلطان. حتى قبل تسوية القضية مع الصدر الأعظم كوبرولو، بدأ الأوجاق في بناء المسجد الجديد في عام 1660. ويمكن اعتبار بناء هذا النصب التذكاري على الطراز "الإمبراطوري" بمثابة إعادة تأكيد للسيادة العثمانية في الجزائر العاصمة[1].

وكان أحد الحلول التي اعتمدتها النخبة العثمانية في الجزائر لإظهار ولائها هو التأكيد على هويتها التركية والحفاظ على طابعها التركي إلى درجة جعلها أيديولوجية. وتضمنت هذه الأيديولوجية منع دخول العناصر ''غير التركية'' إلى النخبة العثمانية في المحافظة. وقد تجلى ذلك على ثلاثة مستويات مختلفة: تجنيد الجنود، والسياسة التقييدية لزواج أعضاء الميليشيا من نساء السكان الأصليين، وموقف الميليشيا تجاه أبناء الإنكشارية ونساء السكان الأصليين[2].

ضمت ميليشيا الجزائر في صفوفها مواطنين من أصل جزائري، وذلك بالفعل في بداية القرن الثامن عشر. يكشف تحليل 1460 مخزونًا بعد الوفاة للإنكشارية الذين ماتوا في القرن الثامن عشر عن وجود ستة عشر جزائريًا بين الإنكشارية (حوالي 1٪ من المجموعة التي تم تحليلها). ولم يكن هذا الحضور هائلا، لكن الأرقام

[1] حمدان خوجة بن عثمان، المرآة، تح، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص82.

تعطي انطباعا بالمساواة بين عدد الجزائريين في الميليشيا وعدد المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام [1] ومع ذلك، ظل التجنيد المحلي هامشيًا للغاية، ولم تتغير نسبة الإنكشارية المحلية بين بداية ونهاية القرن الثامن إن المقارنة مع الولايات العثمانية الأخرى في نفس الوقت تؤكد الطبيعة الفريدة للوضع في الجزائر

لذلك فإن سياسة تجنيد الأوجاق تهدف إلى الحفاظ على طابعها التركي. لكنها كانت مكلفة للغاية بالنسبة للإقليم الذي اضطر إلى دفع ليس فقط تكاليف عمليات التجنيد نفسها ولكن أيضًا ثمن اللطف الطيب من السلطات العثمانية بالإضافة إلى الدفع نقدًا وعينًا، كان التجنيد في الأناضول ينطوي على ثمن سياسي يتمثل في الخضوع لإرادة مركز الإمبراطورية؛ ولم يكن كلا الجانبين على علم بنقطة الضعف هذه لدى القوات العسكرية ويبدو أن شركة Venture de Paradis قد فهمت الموقف تمامًا. يصر تحليله للعلاقات بين "الوصاية" و"السيد الأكبر" على حقيقة ذلك[2].

كان لدى النخبة العسكرية الإدارية في الولاية الجزائرية سياسة تقييدية بشأن زواج أعضائها من النساء المحليات، يمكن لهذه الزيجات، خاصة مع النساء الجزائريات، أن تخلق روابط بين أفراد النخبة العثمانية والسكان المحليين. والأوجاق، الذي أراد منع هذا النوع من العلاقات للحفاظ على هويته التركية، أراد تقليل هذا الخطر إلى الحد الأدنى. ويتجلى ذلك بوضوح من خلال التمييز بين الوضع القانوني لأبناء أفراد الميليشيات ونساء السكان الأصليين، الكولوجلو، وأبناء النخبة العثمانية من النساء الأجنبيات، الذين كانوا يعتبرون "أتراكًا صالحين".

الموضوع الأخير المتعلق بإيديولوجية النخبة العثمانية والذي سيتم تحليله هو المشكلة المتعلقة بموقف أفراد النخبة تجاه أطفالهم المولودين من زيجات مع نساء من السكان الأصليين، كراغلة بطريقة ما، يشمل هذا الموضوع الموضوعين الآخرين اللذين تمت مناقشتهما بالفعل: سياسة تجنيد الميليشيات وسياسة الزواج. كان الكراغلة مجندين محتملين[3]: وكان إدراجهم في الميليشيا خاضعًا لعدة تغييرات هذه المجموعة من "أنصاف السلالات" هي مجموعة هجينة من حيث وضعها في المجتمع: نصف عسكري ونصف مدني، نتيجة الزيجات التي لم تشجعها السياسة بين أفراد الميليشيات، والنساء من الأسر "التي سعت للحصول على المساعدة". تحالف الأتراك، بينما

[1] حمدان خوجة، المصدر السابق، ص71.

[2] أحمد بن يغزر، فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث التاريخية العدد 1، 2018 ص82.

[3] الشريف الزهار، مذكرات أحمد شريف الزهار، تح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص26-28.

يحتقرهم بشدة ويفسر العديد من الرحالة والباحثين سياسة الزواج التي تنتهجها النخبة بأنها نتيجة الخوف من زيادة عدد الكراغلة.

المطلب الثاني: الأوضاع الثقافية.

لقد تنوعت الجزئر بثراء أشكال وزخارف العناصر المعمارية والهندسة المعمارية في العمارة الإسلامية خاصة منها العثمانية، إذ خضع العديد من هذه المساجد التاريخية للعمل، عولجت من خلالها العمارة الإسلامية التي تجلت في المباني مثل المساجد التي اعتمدت بقوة على القيم الجمالية للأشكال المعمارية والاجتماعية والاستخدامية والوظيفية.

اقتصرت المؤسسات الثقافية في العهد العثماني على المساجد والمدارس الدينية والزاويا والمكتبات، وكان معظمها للتعليم والتعلم، إذ تولت هذه المعدات دور الجامعة اليوم، والمدرسة الثانوية والكلية والمدرسة الابتدائية، لم تعرف الجزائر خلال هذه الفترة لا مسرحا ولا صحافة إلا خلال الحقبة الاستعمارية، إلا أن الأتراك أولوا أهمية كبيرة لبناء هذه المؤسسات بشكل خاص في عهد صلاح بك الذي أنفق ميزانية كبيرة، وخصص لها الكثير من أراضي الوقف[1].

كما شهدت عمارة المساجد في الجزائر مراحل من التغيير بسبب تعاقب الحضارات والسلالات المختلفة، تمثلت في مجموع الإضافة أو الحذف وحتى الإلهام ، ويعدّ العصر العثماني المثال الحي حيث قدم العثمانيون أسلوبًا جديدًا يختلف عن الطراز الإسلامي والأساليب الأخرى الموجودة، وهو ما زال حاضراً بشكل كبير في المساجد التاريخية الجزائرية الموجودة إلى يومنا هذا تتكون المساجد العثمانية عمومًا من قاعة ضخمة مقببة مبطنة وفناء في الهواء الطلق محاط بأروقة ويحيط به من زواياه اثنان إلى أربعة مآذن، كما هو الحال في غرف المساجد الفارسية، لا يتم قطع أعمدة المساحة الداخلية[2].

مع مرور الوقت وبسبب تطور المجتمع الإسلامي، حدثت تعديلات لتصميم مبنى المسجد شملت مايلي:

- ابتكار المحراب لتحديد اتجاه القبلة،

---

[1] أكمل الدين احسان أغلو، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر، صالح سعداوي، ج2، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999، ص689-695.

[2] مؤنس حسين، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1989، ص28.

-استخدام الإضاءة الطبيعية من خلال النوافذ، والفناء المحاط بأربعة إيوانات القبة.

-كانت هناك أيضًا ملاحق؛ مكتبة، مطبخ، مدرسة، غرف الطلاب، غرف للمعلمين،...

- تؤثر التغييرات أيضًا على الزخرفة حيث يمكننا أن نجد الزخارف الزهرية أو الهندسية أو كليهما، تضاعفت القباب، وتطورت المئذنة، واكتسبت الارتفاع، وحتى مواد البناء تطورت.

في البداية كان تخطيط المساجد يتلخص في مسجد واحد يسمى جامع والذي يقع في وسط المدينة، وترمز إلى مبدأ وحدة المجموعة، بحسب تعاليم الإسلام، فضلا عن المكانة المركزية التي يحتلها الدين.

وحتى بالنسبة للمجتمعات الموجودة مسبقًا، تم نقل المركز الحضري من السوق إلى المسجد، الذي أعطى التخطيط الحضري المعاد هيكلته، للمدن المؤسسة حديثا، حيث يبدأ التخطيط بالمسجد في الوسط، ثم حول المباني[1].

وظيفتها الرئيسية ممارسة الصلاة وتعليم القرآن الكريم، والمساجد انقسمت في العهد العثماني من حيث نشأتها وأدوارها إلى عدة أقسام منها: المساجد التي أسسها الخلفاء والأمراء والولاة وصنعوها

في جزء من عمل قيادتهم الإسلامية إما المجد أو كسب تعاطف المسلمين من الرعية مثل مسجد ابن مروان وصالح باي في عنابة وصالح باي في قسنطينة والجامع الكبير بقسنطينة[2].

وجزء آخر أسسه الأثرياء باسم مسجد سيدي الأخضر الكتاني (قسنطينة) سيدي عبد الرحمان الثعالبي (الجزائر)، سيدي الهواري (وهران) ليشمل القسم الثالث المجموعات الاجتماعية والمنظمات الدينية التي تندرج ضمن صدقات مختلف الفئات الإجتماعية وهو من أكثر مساجد الجزائر.

الجامع الجديد بالجزائر: يعرف المسجد الجديد أيضا بالمسجد الصغير أو مسجد الأسماك، عمل بفتاوى المذهب الحنفي. تم بناؤه عام 1660 في عهد الأتراك (على يد الداي مصطفى باشا[3]) على الطراز العثماني، في موقع

خيرة بن بلة، العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني –بين الطراز المحلي والتأثيرات العثمانية–، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد14، ص1109.

[2] المرجع نفسه، ص1110.

[3] يعتبر الداي مصطفى باشا (1798-1805) من أكثر دايات الجزائر الذين عرف عهدهم أحداثا متميزة، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، كما أن شخصيته يكتنفها الكثير من التناقض والغموض، وهذا ما جعل العديد من الكتابات

مدرسة بوعنان بموقع القصبة السفلى ويهدف هذا الاختيار للموقع إلى دمج المسجد الجديد في المركز الروحي والسياسي والإقتصادي للمدينة[1].

مخطط هذا المسجد بازيليكي، ويتميز ببلاطاته الثلاث المتعامدة مع جداره وتتقاطع القبلة مع خمسة فتحات، أما البلاطات الجانبية فهي مطلة عليه مغطاة بالقباب والمدرجات المسطحة التي تعلوها أقواس الدير المضاءة عند قاعدتها، أما مادة البناء فهي تشمل الحجر والرخام والطوب والجص، أما الديكور الداخلي فهو مصنوع من السيراميك والخشب المنحوت والمطلي[2].

مسجد سوق الغزل بقسنطينة:

تم بناؤه عام 1703 على يد أحد المغاربة، وهو يعتبر من أكثر المساجد التاريخية التابعة لعاصمة بايلك الشرق أثناء الفترة العثمانية، يقع في المدينة القديمة لقسنطينة، ويحده من الشرق قصر أحمد باي، غربا شارع ديدوش مراد ''شارع فرنسا'' واستخدمت في بنائه مواد بناء مثل: الجبس، والطوب، ويتكوّن من قبة ذات سقف مائل من البلاط الأحمر وفتحات زجاجية نوافذ صغيرة، دعامات موزعة بطريقة إيقاعية ومتماثلة، بالنسبة للواجهة الشمالية الغربية فهي مسدودة بالكامل، أما الواجهة الجنوبية الغربية الشرقية تحتوي على رواقين في شكل أقواس مزينة بزهيرات بثلاثة فصوص[3]، ومايشدّ الإنتباه هي القبة المصنوعة لأسباب جمالية، وأخرى وظيفية وهي ضمان الإضاءة من خلال 24 نافذة، يرتكز جزء من هذه القبة على أعمدة والآخر على الجدار الخارجي للغرفة السداسية.

التي أرخت له ولعهده يشوبها كثير من التناقض، فبعضها يمجد عصره وأعماله في حين أن بعضها الآخر يعتبره مجرد العوبة في يد جماعة من اليهود استغلته الخدمة مصالحها، مما جعل نهايته تكون مأساوية بعدما اغتيل رفقة اليهودي بكري، بعد وفاة الداي حسن (1791-1798) يوم (14) ماي 1798 ، عرض عليه المنصب لكنه رفض توليه بشدة، ربما لعدم توفره على خبرة في تسيير شؤون الحكم، فحسب بعض المصادر عمل مصطفى فحاما ثم كناسا قبل أن يعين خزناجيا، للمزيد من المعلومات ينظر، محمد بوشنافي، الداي مصطفى باشا وعصر(1798-1805)، عصور الجديدة، العدد7-8، 2013، ص159.

[1] عبد القادر دحدوح، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015، ص76.

[2] المرجع نفسه، ص77-78.

[3] رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص76

يحتوي مسجد سوق الغزل على مئذنتين مربعتي القاعدة، لا تعكس المآذن نمط الفترة العثمانية في الجزائر والتي كانت في كثير من الأحيان خاضعة للنفوذ المحلي، زخرفة المحراب مصنوعة من الجص، باستخدام زخارف نباتية وهندسية مختلفة، وبخصوص المحراب فهو مفصول عن الجزء السفلي بكورنيش وإطار مستطيل يعلو قوس فتح المحراب، عليه نقش بالخط الكوفي[1]

وتتميز المساجد العثمانية بما يلي:

- يحافظ المخطط على الفناء المحاط بأروقة مغطاة بقباب صغيرة.
- قبة كبيرة على صحن واحد تسمح بمساحات داخلية واسعة بدون أعمدة.
- تصبح قاعة الصلاة الواسعة والمرتفعة حجماً كبيراً توحده قبة قوية مركزي مدعوم بنظام أنصاف القباب والأزواج.
- يحدث تأثير الهرم بسبب طبقات القباب وأنصاف القباب
- استخدام الحجر الجاف والطوب
- تتميز المآذن بشكلها النحيل والمدبب بسقفها في مخروط.
- المقرنصات: تستخدم في تقاطع القبة مع قاعدتها المربعة[2]
- وكذلك بالنسبة لمشكاة المحراب.
- الحفر في جدران طبلة الأذن وأصداف القباب من خلال النوافذ تزويد المساحة الداخلية بإضاءة منتشرة ومتجانسة

[1] Mercier, *Histoire de Constantine*, concours de la société archéologique, 1903, p. 439.

[2] المقرنصات عنصر معماري تزييني ابتكره المعماريون المسلمون قبل القرن العاشر ميلادي، يتألف من وحدات ذات سطوح مقعّرة تتراكب بحيث تبرز كل طبقة عن الطبقة التي تحتها لتخلق سطحا غنيا يتغيّر في الإتجاهات الثلاثة للفراغ، ينظر، مأمون لطفي الصقال، إعادة إنشاء المقرنصات في العمارة العربية الإسلامية باستخدام نظرية عائلة المقرنصات، الندوة العالمية لحماية حلب القديمة، 1983، ص2.

استنتاج:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تحولا كبيرا جدا في العمارة الإسلامية للمساجد حيث جلب العثمانيون أسلوبًا جديدًا يختلف عن الأنماط الأخرى التي كانت موجودة من قبل وهو ما زال حاضراً بكثرة في المساجد ووجد أن الجزائر تتمتع بتراث معماري إسلامي يتميز بغناه والتنوع الذي هو شاهد على أصالة هذا الفن.

الفصل الأول

الحياة الإجتماعية في الجزائر العثمانية

المبحث الأول: البنية الإجتماعية ومظاهر الحياة اليومية في الجزائر العثمانية

المبحث الثاني: المؤسسات الإجتماعية

المبحث الأول: البنية الإجتماعية ومظاهر الحياة اليومية في الجزائر العثمانية

المطلب الأول: الطبقات الإجتماعية

لم تكن تتمتع مختلف الولايات العثمانية في ذلك الوقت بنفس القدرة على الجذب التي تتمتع بها اليوم. في بداية القرن الثامن عشر، مدينة قسنطينة، عاصمة البايلك[1] الشرقي وسوق إقليمية كبيرة، استطاعت أن تحقق جذب سكاني ملفت للإنتباه، وذلك من خلال العناصر الإجتماعية المتفاعلة في أريافها خصوصا بين الإتحادات القبلية،

التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأرضها التي لا تشكل فضاءها السياسي فحسب[2] ولكن أيضًا موردها الاقتصادي الرئيسي. على الرغم من ذلك، تتعرف كل قبيلة على نفسها فيما يتعلق بمنطقة معينة محددة في الفضاء[3].

وإذا ما تصفحّنا الخريطة القبلية التي أنجزها كارت سنلاحظ أن المجموعات القبلية في الريف القسنطيني وتحيّزها المجالي تشكلّ بصورة واضحة النظام البايلكي المتكامل والذي كان يتحكمّ في العلاقات الاجتماعية بين القبائل

---

[1] البايلك مصطلح تركي قديم أخذه الأتراك عن المغول والسلاجقة، وأول من تولى إمارة البايلك عند الأتراك هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وذلك سنة 1280 م، للمزيد من المعلومات ينظر، كعوان فارس، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا-الدنوش-البايلك كنموذج، مجلة مدارات تاريخية، المجلد1، عدد خاص، 2019.

[2] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من إدعّى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987، ص119.

[3] Ben Hounet, l'Algérie des tribus, le fait tribal dans la haut Sud-ouest Algérien contemporain, thèse nouveau rigime en vue de l'obtention du dpctorat en anthropologie, EHESS, Paris, 2006, p27.

التي تمتد على مجال جغرافي من مدينة قسنطينة إلى حدود كونفدرالية الحنانشة[1] القبلية التي عاشت على الأطراف بين الجزائر وتونس[2].

استطاعت كونفدرالية البايلك الشرقي بتحالفها مع الطريقة الشابية أن تهيمن على الأراضي الرعوية بالريف القسنطيني، لتتقاسم بذلك الثروة والنفوذ السلطوي مع بايات قسنطينة، وفي ضلّ هذا التحول إلى الطرقية تراجعت القبائل المخزنية التابعة للسلطة العثمانية إلى أقصى الحدود الشرقية مع بداية القرن الثامن عشر، ليعاد ترتيب المجال قبليا بين قبائل السقنية(الجماعات الرعوية) والزمول(القوة العسكرية الضاربة)، والتي استطاعت أن توحد بعض الفروع القبلية الرعوية الضعيفة وضمها إليها، وذلك من أجل تدعيم القطاع الاقتصادي الرعوي[3].

إذا ما قلنا البايلك الشرقي فإنّ ذلك يحيلنا إلى مجتمع حضري، معاكس تماما لسكنى البادية[4]، وهذا ما نلاحظه من خلال الدراسات ومؤلفات الفترة العثمانية، وما يزيد القارئ انتباها هو ظهور تركيبة اجتماعية متناسقة داخل عاصمة البايلك، نتيجة تداخل عوامل عديدة خاصة حركة الهجرة بنوعيها: الداخلية والخارجية، ودخول عناصر إثنية جديدة، من خلال المصاهرة ما بين الوافد الجديد وأشهر العائلات المحلية، وهذا ربما يحيلنا إلى القول أنّ النمو الديموغرافي كان متباطئا في معدله لأنّ دائرة المصاهرات كانت تخضع لنوع من الرقابة والتقنين على عكس الأرياف والبادية[5].

---

[1] إن الدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ قبيلة الحنانشة داخل الجزائر قليلة وأهمها على الإطلاق، رسالة الأستاذة جميلة معاشي التي تناولت تاريخ القبيلة بالتفصيل، انطلاقا مما كتبه المترجم الفرنسي" شارل فيرو Charles Fereau وكذا المؤرخ إبن خلدون، و المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف . فدراسة المترجم شارل فيروالتي نشرت بالمجلة الإفريقية في عددها رقم 18 سنة 1874اعتمدت على الرواية الشفوية وكذا على ما كتبه المؤرخ ابن خلدون، أما كبار المسنين فيذكرون المنافسة على مشيخة القبيلة بين الشيخين "الرزقي " و" الحسناوي، للمزيد من المعلومات ينظر، جمال ورتي ، مظاهر امتداد سلطة الإيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري قبيلة الحنانشة نموذجا(1637-1830)، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق آهراس.

[2] توفيق بن زردة ، مسار وآليات تعمير الريف الشرقي القسنطيني خلال القرن الثامن عشر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، المجلد33، العدد1، 2019، ص652.

[3] المرجع نفسه، ص658.

[4] يرتبط المفهوم الإصطلاحي للبادية بمجال القبائل البدو، غير أنّ هذا المفهوم تحوّل عند الكثير من المؤرخين في الفترة الوسيطة، وخاصة الفقهاء منهم إذ أصبح يطلق على المزارعين في الريف، للمزيد من المعلومات ينظر دراسة، آل سيد شيخ سعاد، ملامح من المظاهر العمرانية بالريف والبادية في الجزائر العثمانية: قراءة في بعض كتب الرحلة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد10، عدد2، 2022.

[5] هشام بوبكر ، بلقاسم عياشي، جوانب من الحياة الديموغرافية والإجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو-تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكوّنة للمجتمع الجزائري)، مجلة آفاق العلوم، العدد7، 2017، ص290.

لقد مثلّ سكان المدينة 30.000 نسمة في أواخر القرن الثامن عشر، وكان عدد سكان قسنطينة الكبرى 550.000 نسمة، ولمدة طويلة، كانت المدينة تنمو ببطء وكان النمو الديموغرافي للسكان المسلمين منخفضا، فيما ظلت العناصر الأوربية محدودة العدد مقارنة بالمعاقل المحلية، ليتطور النمو السريع بالحركة الكبيرة للهجرة الريفية في أعقاب الهجومات العسكرية التي تطال قبائل الريف، خاصة من منطقة القبائل الصغيرة (الميلية، الطاهير)، التي هاجر سكانها أكثر من غيرهم بكثير، وذلك للطابع الجبلي الذي يميّز مناطقهم والذي يجعل إقتصادهم المعيشي هشا[1].

وهكذا، في غضون عقد من الزمن، أصبح سكان قسنطينة "قبائليين" من منطقة القبائل الصغيرة مثل الجزائر العاصمة. العديد من جوانب الحياة الاجتماعية ولا يمكن فهم سياسة المدينة دون اللعب الصم لمجموعات من الناس منطقة القبائل أو الشاوية أو غيرها من الضغوط[2].

لقد ارتبطت التشكيلة الاجتماعية الموزعة في البايلك الشرقية بالسلطة السياسية، ذلك أنّ هناك تراتبية اجتماعية تحددها كل فئة وانتماءاتها السياسية فنجد: الأتراك، الكراغلة، الامازيغ، العرب، واليهود، وكل واحد من هذه الفئات مارست دورها داخل الجزائر العثمانية

أ/الأتراك:

لقد توصّلوا إلى مدّ الجزائر بسلطة عمومية مركزية تخضع مجموعتها البشرية لمركز سلطوي واحد يصل تأثير نفوذه على كامل أرجاء الإقليم الواحد. تحقق هذا من خلال إقامة نظام إداري يوحّد البلاد، ونظام جبائي يجعلها مميّزة عن البلدين المجاورين (تونس والمغرب) كأجزاء لذلك المغرب الإسلامي الوسيط. وتعني هذه الخصوصية اعتبار الجزائر ككيان جغرافي–سياسي مختلف في بناء هويته الوطنية، ومن هذا المنظور، يحسب إسهام الأتراك كإسهام إيجابي في هذا المنحى.

إلاّ أنّه وبالمقابل، تكشف طبيعة هذه السّلطة أنّها كانت حكرا على العنصر التركي، فقد أقام الأتراك قطيعة بينهم وبين الأهالي الجزائريين في تسيير الحكم، فلم ينعم به حتّى مواليهم من "الكراغلة" طيلة وجودهم ، وما

[1] محفوظ سماتي ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر، محمد الصغير بناني، منشورات دحلب، 2007، ص88-90.

[2] بدر الدين شعباني ، مدينة قسنطينة في العهد العثماني–الأصالة والتراث–، مجلة دراسات، المجلد7، العدد1، 2021، ص81-83.

ثورات (1638-1639)[1] وما موقف السّلطة من الأهالي بإبعادهم عن مقرّها (دار السلطان) ودفعهم إلى الإقامة بالجهات، إلاّ دليل عن مدى انغلاق هذه السلطة على نفسها. وهذه الخصوصية تجعلها تختلف عن تجربة أتراك تونس التي تميّزت باللّيونة، الانفتاح والانصهار في المجتمع التونسي، الأمر الذي سينعكس على تقرير مصير التجربتين[2].

ويرى المؤرخ الكبير المختص في التاريخ العثماني ناصر الدين سعيدوني، أنّ تخلي الأتراك في أواخر عهدهم بالجزائر عن سياسة حكم البايلكات الجهوية إلى الكراغلة والاستنجاد بقبائل مخزنية، فذلك ليس عن إرادة نسبية في تسيير الدولة، بقدر ما عكس تراجع القوّة الانكشارية وتناقصها بالنّظر للتحوّلات التي كانت تشهدها الإمبراطورية العثمانية داخليا (القضاء على الجيش الانكشاري في 1826 وتراجع مواقعها الأوربية واعتماد حركة إصلاحية شاملة[3].

ب/الكراغلة:

أدّى زواج أفراد الجيش التركي بالنساء الجزائريات إلى ظهور فئة إثنية جديدة عرفت بالكراغلة[4]، ويعود تاريخهم كعنصر يتميّز بالإستقلالية تنافس الأتراك العثمانيين في الإمتيازات، ويعود سبب اندماجهم بالإنكشاريين إلى قوة السلاطين العثمانيين، الذين عملوا على توحيد العناصر المختلفة تحت حكمهم، لكن وضعهم الاجتماعي تغيّر لاحقا عندما ازدادت قوة الإنكشارية، وتوسع معها نفوذهم الذي يتناقض مع وجود أي عنصر معهم قد يشكّل خطرا محدقا بهم، فعملوا على ابعادهم، ولقد ذكر شاو في رحلته أنّ سبب فصل العنصر الكرغلي من

---

[1] وكان تحالف العثمانيين مع رجال الدين والعامة قد أضر بمصالح بعض الأمراء والولاة والقواد الكبار، فكان هذا الموقف سببا في ثورة بعض هؤلاء الأعيان، بيد أن سياسة العثمانيين لم تكن هي حكم البلاد المباشرة، بل الحكم بواسطة أهل البلاد أنفسهم، ذلك أن عددهم وقوتهم وأصولهم لم تساعدهم على فرض سلطانهم مباشرة، ولذلك فقد عمدوا، بالإضافة إلى التحالف الذي ذكرناه سابقا مع رجال الدين، إلى الاعتراف بالاستقلال الداخلي، أو الحكم المحلي لبعض هؤلاء الاعيان، بشرط أن يدفعوا (11)ضريبة معينة للحكومة المركزية و كانت ثورات الجزائريين ضد الأتراك العثمانيين متعددة الوسائل والغايات فبعضها كان له طابع ديني، وبعضها كان له طابع سياسي ، وبعضها كان له دو افع اقتصادية، كما أن البعض منها كان نتيجة تمرد شخص حبا في المغامرة أو طمعا في الجاه والسمعة. ومن هذه الثورات ما كان قصير المدى محدود المكان، وما كان طويل المدى واسع المجال، للمزيد من المعلومات ينظر، الشيخ لكحل ، ثورات الجزائريين ضد الأتراك العثمانيين خلال العهد العثماني ثورة ابن الصخري نموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 14ن العدد2، 2022.

[2] أحمد عبيد ، التأريخ الجزائري: تقييم ونقذ-حالة الجزائر العثمانية، مجلة إنسانيات، 2010، ص47-48.

[3] الشيخ لكحل ، المرجع السابق، ص55.

[4] ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 دار الغرب الاسلامي بيروت ط1 ، 1998 ، ص145.

المناصب الحساسة والوظائف والإمتيازات هو الخوف من تزايد أعدادهم خاصة وأنّ دائرة مصاهراتهم مع الأسر المحلية ازدادت وهذا ما أدّى إلى إصدار قانون يمنع على الأهالي الإنضمام إلى صفوف الإنكشاريين[1].

كان لدى النخبة العسكرية الإدارية في البايلك الشرقي سياسة تقييدية بشأن زواج أعضائها من النساء المحليات. يمكن لهذه الزيجات، خاصة مع النساء الجزائريات، أن تخلق روابط بين أفراد النخبة العثمانية والسكان المحليين. والأتراك، الذين أرادوا منع هذا النوع من العلاقات للحفاظ على هويتهم، لقد أرادوا تقليل هذا الخطر إلى الحد الأدنى. ويتجلى ذلك بوضوح من خلال التمييز بين الوضع القانوني لأبناء أفراد الإنكشارية ونساء السكان الأصليين، والكراغلة، وأبناء النخبة العثمانية من النساء الأجنبيات، الذين كانوا يعتبرون "أتراكًا صالحين" وقد لاحظ الرحالة وسكان مدينة الجزائر هذه السياسة والسبب الذي يميز الجنود المتزوجين عن غير المتزوجين، هو أن البايلك، بموجب دستور الدولة، بشكل عام هم ورثة للأتراك الذين يموتون، أو الذين يقعون في العبودية دون أن يكون لديهم أطفال أو أطفال، فعندما يتزوج الجنود، يُعفى أيضًا من إعطائهم أي شيء آخر غير الأجر'' هناك تفسير أكثر خيرًا إلى حد ما قدمه سيدي هام دان خوجة:"هناك أتراك مرتبطون جدًا بالوصاية لدرجة أن الكثير منهم لا يتزوجون عمدًا لترك ثروتهم في صندوق بيت المال" هذا التفسير ليس هو التفسير الوحيد الممكن. كانت سياسة الأتراك التقييدية تجاه زواج أعضائها جزءًا من جهود النخبة العثمانية في المحافظة للحفاظ على طابعها التركي وفصلها عن بقية السكان[2].

يضع بيير بوير بداية هذه "السياسة المذهلة لتقييد الولادات والعزوبة" في بداية القرن الثامن عشر. واستهدفت بشكل رئيسي الجنود البسطاء الذين يشكلون حوالي 80% من الإنكشارية. لقد استفاد الجنود، الذين كانت ثروتهم النسبية محدودة للغاية مقارنة بثروات المجموعة العليا ، من مجموعة كاملة من الامتيازات التي تعتمد على عزوبتهم. وهكذا، على سبيل المثال، تمت الموافقة على الزواج من خلال شطب الجندي من قائمة من يحق لهم الحصول على الخبز اليومي وكذلك من خلال الطرد من الثكنات، تظهر هذه العقوبات بوضوح أن الأتراك كان لديه في الواقع سياسة تقييدية فيما يتعلق بالزواج. ويبدو أن هذه السياسة كان لها نتائج ملحوظة: فمعدل

[1] حميد آيت حبوش ، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5، ص10.

[2] رمزي ربعي ، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، فرع التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد الشرف مساعدية، 2018-2019، ص16-17.

الزواج المسجل بين أفراد الميليشيات (حوالي 18.5%) أقل بكثير من المعدل المسجل بين المدنيين (حوالي 37%)[1].

ج/السكان المحليون (الأمازيغ):

تبنّى العديد من الباحثين هذا الموضوع على غرار عمار بوليفة على سبيل المثال الذي يتبنى أسطورة القبائل كما بناها الإستشراق ليضعها في خدمة تعزيز ماضي الجزائر، ومستقبل متحرر من الإنحطاط المنسوب إلى الدولة العثمانية، تشكلّت صورة جرجرة في التاريخ الذي نشره عام 1925، بالنسبة لكتاب آخرين مثل رباح زناتي كان الإسلام شيئا من الماضي، وقد حان الوقت للجزائريين لتحرير أنفسهم من هيمنة المقدس وسلطته.

عندما يعتبر المدني أن الأصل الشرقي للبربر حقيقة تاريخية فهو في الواقع لايتبنى سوى النظريات التي تنشرها المجتمعات الغربية العلمية على سبيل المثال اعتبر Pascal Duprat أن البربر هاجروا من الشرق الأوسط إلى شمال إفريقيا[2]، و Henri Tauxier جندي محترف ساهم لمدة 30 عاما في المجلة الإفريقية دافع بشغف عن هجرة البربر من الشرق إلى شمال إفريقيا[3]، كما هو الحال أيضا مع Ernest Mercier الذي يجادل أن البربر هم نتيجة إختلاط السكان الأصليين في شمال إفريقيا.

د/العرب:

أدت الأسلمة إلى استبدال أسماء البربر بأسماء عربية في نموذج الأنساب التي قدمتها القبائل للاعتراف بملكية الأراضي بسلسلة أجداد عربية، لم يكتف مترجم كتاب الترجمان المعرب بهذا الطرح فقط، بل نجده يبرر ظروف تواجد الديانة اليهودية في شمال افريقيا، لكن نقص التوثيق في المصادر التي اطلع عليها، أدت الى اعترافه أخيرا

[1] شويتام أرزقي ، دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519-1830)، مجلة أفكار وآفاق، المجلد3، العدد4، 2013، ص178.

[2] ينظر مؤلفه:

Pascal Duprat, essai historique sur les races anciennes et modernes de l'Afrique septentrionale leur origines, leurs mouvements et leurs transformations depuis l'antiquité la plus reculée jusqu'à nos jours, Paris 1845.

[3] ينظر مقاله:

Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme, revue africainne

وقبوله بالأسطورة العربية التي تتبنى هجرة الفلسطنيين مع عدد من القبائل الأصلية الأخرى ذات الأصل الكنعاني وهي المسؤولة عن تسرب اليهودية إلى بعض القبائل[1] .

هـ/الحضر:

سكان الحضر "سكان المدن": هم الكثرة الغالبة بالمدينة الذين كانوا يتشكلون من فئات عديدة ومحلية ذات أصول أمازيغية و عربية وأندلسية بالإضافة إلى فئات أخرى وافدة كالأتراك العثمانيين الذين ضموا الاعلاج الأسرى و اليهود على درجات متفاوتة، في الواقع، أنهم لعبوا دورا هاما في تكوين الحاشية السياسية لآل البايات وهذا يثبت تفوقهم في الجهاز السياسي لهذه العائلات التي يتقاسم أفرادها معظم الرسوم الحكومية جميع الوظائف الإدارية والعسكرية للبيليك[2].

و/البرانية:

عرفت المدينة ظاهرة وفود سكان المناطق الداخلية إليها من فئة البرانية "فئة الأهالي من الأرياف خاصة منطقة القبائل والقبائل الصغرى وحتّى المناطق الجنوبية، وتميّزت هذه الفئة بالتجانس نظرا لاختلاف المناطق التي ينتمون إليها، وأطلق عليهم أهالي المدينة(البلدية) اسم البرانية، واستطاعوا الإندماج في عدة وظائف خاصة منهم بني ميزاب الذين برعوا في تجارة الأقمشة والمخابز[3].

ز/ اليهود:

اليهود هم الأقلية غير المسلمة الوحيدة في المغرب العربي، ويمثلون حوالي 3% من السكان، لكنها أقلية ظاهرة لأنها حضرية تلعب غالبا دور الوسيط بين العرب والاوروبيين وفي منتصف القرن التاسع عشر، كانت الجالية

---

[1] Opsit, p100-107.

[2] شويتام آرزقي ، المرجع السابق، ص75.

[3] عائشة غطاس ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1830-1700 مقاربة اجتماعية – اقتصادية المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبية، الجزائر، 2007، ص28.

اليهودية في الجزائر ممثلة في صورة أهل الذمة وهو حالة الأقليات الدينية في ظل الإسلام وتتجسدّ حمايتهم من خلال عقد الذمة[1] .

وهي من الفئة الأكثر حركية التي ارتفع شأنها في المدينة، فقد بلغ عددهم خمسة ألاف نسمة، يخضعون لقائد يعرف بالمقدّم أثناء حكم البايات يتعاملون مع الداي و قادة الجيش، خصصّ لهم صالح باي شارع يقع ما بين باب القنطرة و حافة الهاوية، فبنو فيه منازلهم ودكاكينهم ومن جهة أخرى يمثلّ هذا الإجراء المكانة التي كان تحتلها هذه الفئة .و مارس هؤلاء جميع فروع التجارة واحتكروا السمسرة وصناعة الذهب و الفضة، والسمسرة وصك النقوذ، إلى جانب النشطات الحرفية التي اشتغلوا عليها بعد الصياغة خاصة العطارة حيث وجد سوق" العطارين اليهود"والخياطة والقزازة. وكان في اعتماد بعضهم محلات حرفية تجارية بمثابة ورشات ضخمة[2].

ح/الأندلسيون:

من أشهرهم العنصر الموريسكي[3] الذي استغاث بمدينة الجزائر، وكان لهم دور فعّال في تثبيت الحكم العثماني بالجزائر، وذلك من خلال المساعدات التي قدّموها للعثمانيين من أجل التصدّي للهجومات الإسبانية، وبرز دورهم أكثر في مدينة قسنطينة من خلال العمارة المميزة والتي لاتزال تميّز بعض الأماكن الأثرية في عاصمة

البايلك بالإضافة إلى أعمال الحياكة والدلالة السوقية، كما توّضح وثائق الوقف الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية[1] بعض الألقاب المهنية لهم على غرار: الحوكي ابن محمد الاندلسي، والحداد محمد الاندلسي، الحاج

---

[1] هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام، أو هو إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية وإلزام أحكام الملة، للمزيد من المعلومات نشير إلى الدراسة المتميزة ذهبية لبوشيبة ، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، حنيفي هلايلي ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والغجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015-2016.

[2] عائشة غطاس ، المرجع السابق، ص175.

[3] للإطلاع أكثر حول هذا الموضوع ينظر، حنيفي هلايلي ، الموريسكيون الاندلسيون في الجزائر خلال القرنيين 16-17م، فهرسة المكتبة الوطنية الجزائرية، 2014.

علي بن الحسن الأندلسي الشواشي، دون أن ننسى مشاركتهم في التجارة من خلال تجارة بيع الأسرى المسيحيين وتمويل مشاريع الجهاد البحري[2].

المطلب الثاني: العادات والتقاليد.

الحياة اليومية.

أ/اللباس:

لطالما اعتبر اللباس علامة فارقة للتمايز الطبقي والتراتب الاجتماعي، إذ يختلف حسب متوسط المعاش لدى الأسر بين الفقيرة والغنية، وحسب المناسبات الإحتفالية، وبين السلطان وخاصته، وعادة ما يتمّ تمييز الذوق الراقي في اللباس من خلال اختيار أجود أنواع القماش لصناعته، وفي اعتبارنا فإنّ أحسن ما كتب حول الموضوع في عاصمة البايلك الشرقي ما نشره الدكتور عبد القادر دحدوح، إذ جاءت دراسته بعد قراءة أرشيفية هامّة وموّثقة من نوازل ابن لفقون وسجلات المحكمة الشرعية.

وحسب رأي الدكتور فإنّ الصناعة النسيجية كانت قائمة بكثرة في مدينة قسنطينة إذ كانت تحتوي على ورشات الحياكة والتي تسمّى المناول جمع مفرده منول، واشتهرت بعض الأسواق بهذه الحرفة مثل: سوق الغزل، ورحبة الصوف، ونضيف إلى ماسبق إلى أنّ أشهر الألبسة النسيجية البرنوس، ويستعمله الرجال والنساء على حد سواء، والملحفة التي كانت تقدّم في الصداق أثناء الزواج، والحايك والقفطان، والقندورة والصدرية، وبالنسبة لألبسة الرأس فأهمها الشاشية والعمامة[3].

---

[1] للمزيد من المعلومات حول سجلات المحاكم الشرعية نشير إلى دراسة الدكتورة عائشة غطاس ونضن أنه لا توجد دراسة بخصوص الموضوع تعادل قيمة ما كتبته الدكتورة في: سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والإجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر–العهد العثماني، مجلة إنسانيات، العدد3، 1997.

[2] حنيفي هلايلي ، الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد25، 2002، ص316-318.

[3] عبد القادر دحدوح ، صناعة الألبسة بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة دراسات فنية، العدد 1، 2023، ص53-71.

ب/الأطعمة:

عرف المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني تنوعا في تركيبته الاجتماعية، فنتج عن ذلك تنوع في العادات والتقاليد، وكذا في التصرفات اليومية كاللباس والغذاء وغيرها من القضايا المرتبطة بظروف الحياة. لقد تطرقت المصادر المختلفة وخاصة الأجنبية منها إلى هذه الفئات الاجتماعية وطبائعها المختلفة، ونوعوّا في مصادر غذائهم بين اللحوم، الخضر والفواكه، ونجد من بين الأطعمة المشتهرة بينهم: الكسكسي، الدولما المحشية بالبصل ولحم الخروف المرحي والأرز، أو النوع الآخر الذي يتكوّن من لحم مفروم بأوراق العنب، بالإضافة إلى طبق الكباب والكفتة[1].

أمّا بالنسبة للحلويات فلتزال الذاكرة الجماعية لساكنة مدينة قسنطينة تفتخر بصناعة الجوزية، التي تلقبّ بالحلوى الملكية وسلطانة السهرات الرمضانية، وتوارثت صناعتها عائلات معينّة تخفي سر صناعتها على غرار عائلة بن تشاقر، وبن شوالا[2].

بالإضافة إلى البقلاوة، والمشلوش الذي يعتمد على تقطيع رقائق تطبخ من عجين السميد ويضاف لها السمن والعسل، وكذا الزلابية والقطائف[3].

ج/المناسبات:

استقبال شهر رمضان المعظّم:

ككلّ المجتمعات كان لبايلك قسنطينة طابعه الخاص في الإحتفال بالمناسبات خاصة منها الدينية وذلك لقداستها وعظمتها في نفوس الجزائريين فلقد حرص القسنطنيون على استقبال الشهر الفضيل في أحلى حلة،

---

[1] عبد الباسط بن حنيش ، الأغذية والاطعمة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص، تاريخ المغرب العربي الحديث، إشراف، آل سيد الشيخ سعاد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة غرداية، 2021-2022، ص44.

[2] حسام الدين إسلام ، الجوزية حلوى ملكية عثمانية تزيّن سهرات رمضان بالجزائر، جريدة القدس العربي، 27 أفريل 2021.

[3] بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بلقاسمي بوعلام، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2008، ص140.

فبعد غروب الشمس، وإقامة الآذان، يأكلون أشياء خفيفة، أو حلويات، أو التمر مع شرب ثلاث رشفات من الماء، بعد تلاوة دعاء الإفطار، وأكل وجبة الفطور على الفور حتى لا يتمّ تقليد اليهود، الذين يمتنعون هم أيضا عن الأكل لأيام[1].

ويعلّق موريتس فاغنر[2] قائلا: "أن طعام الصائمين في الليل الكسكسي بالزيت، ويضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، وبعد الطعام ينصرفون لمشاهدة العروض الهزلية المتنوعة، كما يحرصون على سماع الموسيقى طيلة شهر الصيام "، كما يقومون بمأدبة كبيرة، وتوزع الصدقات للفقراء، والبعض يضعون الطعام في كل ركن وزاوية من المنزل لكي تأتي الأرواح الشريرة لتأكل الطعام وترضى بهذا العرض، هاته الليلة تسمى "ليلة السبعة وعشرين". وآخر يوم من الصيام يأتي العيد الصغير[3].

الإحتفال بعيد الفطر:

بمجرد رؤية هلال العيد ينقل الخبر مباشرة إلى الداي ليعلن مباشرة أولى أيام عيد الفطر المبارك بطلقة مدفع، وبعد صلاة العيد مباشرة يتنقل أعيان المدينة ووجهاؤها وسفراؤها لتهنئة الداي داخل قصره، وفي اليوم الأول

دائما اعتاد الأتراك على القيام ببعض الألعاب الرياضية كالمصارعة، والفروسية وتوزيع الأموال على الفائزين وعامة الناس، بالإضافة إلى صناعة الحلويات داخل البيوت وتزيينها وتوزيعها مباشرة صبيحة عيد الفطر، واستقبال الناس بعضهم لبعض بعبارات المودة والمحبة[4].

---

[1] توتة إسماعيل، الإحتفالات الدينية والشعبية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية، مجلة تنوير للبحوث الإنسانية والإجتماعية، العدد14، ص6.

[2] لقد قصد الجزائر خلال القرن 19 الكثير من الرحالة الأجانب، بتعدد جنسياتهم فسجلّوا ما رأوهم بأعينهم، كما سردوا تجاربهم الشخصية أثناء تنقلهم بين المدن والقرى الجزائرية منهم الرحالة الألماني موريتس فاغنر الذي زار الجزائري بين 1835-1839م وألفّ كتابا حول الجزائر صدر عام 1941 سمّاه رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836، 1837، 1838، للمزيد من المعلومات ينظر، محمد حمودي ، صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحالة الألماني موريتس فانغر، مجلة الموروث، العدد2، 2013.

[3] المرجع نفسه، ص7.

[4] سعدون بخاخ، الجزائريون وصيام رمضان على ضوء الكتابات المحلية والأجنبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دورية كان التاريخية، العدد46، 2019، ص117.

الإحتفال بعيد الأضحى:

احتفالات عيد الأضحى هي الأخرى لها قداستها وهيبتها، وتبدأ بانطلاق نيران البنادق بكثرة عند بزوغ الفجر، وحتى عند قيام صلاة العيد، حيث تفتح أبواب قصر الداي على مصارعها للعامة، ويقدم الكسكسي المطبوخ لكل الحاضرين، ويستعدّ الداي لاستقبال التهاني والهدايا من أعضاء الحكومة وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين بالجزائر، ثم يقود وجهاء المدينة وأجواقها وسكانها إلى ''جامع الْحَوَتِين''، حيث يقع ذبح الأضحية تحت طلق البنادق والموسيقى العسكرية.

ويصف شلوصر احتفالات الجزائريين بشكل عام، في بايلك الشرق، بأن الأعياد أيام مباركة، ومنها يوم الجمعة فيقول: ''وللمسلمين مثلنا يوم مبارك في الأسبوع، هو يوم الجمعة يسمونه ''نهار الجمعة''، ولكني لم أجد فرقا بينه وبين الأيام الأخرى، فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة، ويمارسون أعمالهم.''

وفي يوم عيد الصغير، يقول شلوصر، تعم الفرحة ويُنظّم الباي ليلة العيد حفلة عشاء تعزف خلالها الموسيقى، وصباح يوم العيد يخرج الى الرحبة خارج المدينة، ويجلس فوق قحدة (الشدة)، في الوقت نفسه يبدأ سباق الخيل الذي تصاحبه أنغام الموسيقى، فيمر كل قائد مع فرقته أمام الباي، ويطلقون النار كلهم أما الأطفال تقام لهم أراجيح وخيام يتناولون فيها عصير الليمون والبرتقال مجانا، وتستمر التسلية حتى الثانية عشر، ويعود بعدها الباي إلى المدينة ويتناول كل واحد طعامه ببيته، كما يصدر الباي عادة العفو عن الأسرى الذين يشفع لهم ، أما في عيد الكبير يذبح رب العائلة خروفا يؤكل من لحمه مدة ثلاثة أيام بكاملها[1].

د/الوضع الصحي.

لم يكن الوضع الصحي في البايلك الشرقي في وضعية جيّدة، نظرا لانتشار العديد من الأمراض والأوبئة، نتيجة الوضع الاجتماعي السائد، وخاصة انتشار وباء الطاعون وتواتره، ويرجع تاريخ ظهوره في الجزائر العثمانية بصفة عامة سنة 1541م، واستمرّ في الظهور لفترات معينة حتّى أصبح مرضا مستقرا متوطنا وتذكر المصادر التاريخية أنّ هذا الوباء كان يظهر مرة كلّ 15 أو 20 سنة[2].

---

[1] سمير الهاني ، الموروث الثقافي اللامادي .. هنا التميّز الجزائري، جريدة الشعب، 31 مارس، 2023.

[2] الكاملة فرحات ، وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية المجلد6، العدد2، 2022، ص1510.

ومع وفود العديد من البحارة، ظهرت كذلك بعض الامراض الأخرى المعدية، وتفشّت العدوى بين الناس منها: الكوليرا، الجدري، السل، والناقل على وجه الخصوص للعدوى يتمثّل في التجار، البحارة، الحجاج، والطلبة، وأهمّ الأسباب لإنتشارها تتمثّل في وجود مناخ غير مستقر خاصة سنوات الجفاف، وجود المستنقعات السهلية، عدم وجود الثقافة الصحية[1].

لقد كان لوباء الطاعون الأثر الكبير في نفوس العامة والعلماء، لأثره الكبير ولمساسه بالبنية الاجتماعية والإقتصادية، فممن ترجم لهم ابن الفقون القسنطيني الشيخ بركات المسبح شيخ القراء، أنه توفي زمن الطاعون[2]، وقد أدّى الوباء المنتشر إلى هجرة السكان من البوادي والمدن فممّا ذكر أنّ الشيخ التواتي انتقل من قسنطينة إلى باجة فاستوطنها وحينما انتقل إليها الطاعون كذلك توفي فيه[3] .

ولمعالجة الامراض الظاهرة والمستعصية مارس مجتمع البايلك الشرقي الطب الشعبي الذي انتشر في الأرياف، وهو يعتمد على طرق علاجية تقليدية مكونة من أعشاب إما مغروسة في الحقول أو منتشرة في الغابات، تكتسبه بعض العائلات عن طريق الخبرة والممارسة المتوارثة، وإلى جانبه كان ساكنة القصر العثماني في بايلك الشرق يعالجون عن طريق أطباء محليين متخصصين كالطبيب نور الدين بن نصر الدين المكي الشافعي الذي ذاع صيته في قسنطينة، أو أطباء أوروبيين مثل فيليكس أنطونيو مورواليس، وميارديي، الذي أوجد تلقيح ضد مرض الجدري[4].

---

[1] عثمان بوحجرة ، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830(مقاربة إجتماعية)رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، دادة محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015، ص48.

[2] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من ادّعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1987، ص47.

[3] المصدر نفسه، ص59.

[4] عثمان بو حجرة المرجع السابق، ص32.

المطلب الثالث: الأنشطة الإقتصادية وأثرها على الحياة الإجتماعية.

1-تطورات الوضع الإقتصادي.

تعتبر فترة الاحتلال العثماني هذه مرحلة صعبة بالنسبة للسكان المحليين: بمعدل 25 صاعًا من الحبوب شهريًا أو ما يعادلها من الخبز، يجب على العامل الواحد أن يخصص أكثر من ثلثي راتبه لهذه النفقات. ونظرًا لعدم إمكانية الحصول على القمح، تعود الطبقة الوسطى إلى شراء الشعير، الذي يرتفع سعره ليصل إلى ثلثي سعر القمح. ومع العلم أن صاع الشعير يقدر بعشرة أيام عمل، وأن الحد الأدنى لقوت الأسرة هو خمسة لترات من الشعير في اليوم، أو 2.5 صاع في الشهر، فمن الواضح أن راتب العامل المياومة لا يكفي. ويقترن هذا التضخم بالطاعون المدمر والمجاعات والأوبئة التي تضرب الطبقة الفقيرة أولاً (حيث قام الأغنياء ببناء احتياطيات غذائية وحاصروا المحاصيل الريفية.

وأعقبت هذه السنوات المظلمة فترة من الانهيار الحقيقي في أسعار الحبوب. ومن عام 1668 إلى عام 1699، كان سعر الصاع من القمح يساوي ما يزيد قليلاً عن عشرة جورناتا لمدة عامين فقط (1689 و1690). كانت فترتان قصيرتان مواتيتين بشكل خاص للمستهلكين المشهورين: الأعوام 1668-1672 والأعوام 1680-1684 لم تعد سنوات الراحة القليلة (1808-1814) إلى مستوى ازدهار الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، فالقوة الشرائية متواضعة مقارنة بالقرن السابق، والتحسينات القليلة لم تدم طويلاً. واستقرت نسبة "سا دي قمح/جورناتا" في عام 1813، ثم انخفضت في عام 1814 قبل أن تبدأ فترة رهيبة بين عامي 1815 و1819. وبعد تطور في عام 1822، انتهت الأزمة، تاركة وراءها آثارا عميقة: نقص الغذاء، ووباء مبيد، وانحدار ديموغرافي، وانهيار الإنتاج الزراعي. هناك عوامل أخرى تعني أن القسطنطينية، وهي منطقة مزدهرة في الجزائر في القرن الثامن عشر، قد تضررت بشدة أكثر من بقية البلاد: إلى جانب نهاية الحروب الأوروبية في عام 1815، يتضاءل الدخل المالي لبيليك[1].

خلال هذه الفترة حدثت نقطة تحول في تاريخ الجزائر: وفاة الرايس حميدو (أميرال رمزي للبحرية الجزائرية) أثناء القتال وتدمير أسطول الجزائر على يد الإنجليز عام 1816. كانت عشرينيات القرن التاسع عشر سنوات راحة

[1] العيد فارس ، الأوضاع الإقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد5، 2017، ص146.

مع انخفاض أسعار القمح، ومن الناحية الاقتصادية فإن الوضع آخذ في التدهور. خلال هذه العقود الثلاثة، انخفض صاع القمح فقط إلى أقل من 9 جورناتا في عام 1810 بسلسلة متواصلة من السنوات الكارثية[1].

ومع ذلك، ليس هناك ما يشير إلى أجور العمال بعد عام 1823. حسابات مواقع مختلفة تعطي تفاصيل عن الأسعار، وبالتالي عن المبالغ الإجمالية، وليس على أجور. ونظراً للاستقرار الكبير للأجور في الأوقات العادية، فقد كان من المفترض أنها كذلك وحافظت على ما كانت عليه في السنوات الأخيرة من حكم حسين داي.

منذ عام 1827، حصار الجزائر من قبل الفرنسيين والتوقع الرسمي للتدخل الفرنسيون المناهضون للمدينة دفعوا الحكومة إلى إفراغ الجزائر من البرانيين العواقب هي تتلخص في تكثيف العمل الدفاعي، وندرة الأيدي العاملة، والبحث عنها السلام الاجتماعي من قوة ضعيفة.

منذ أكثر من قرن، تناولت الدراسات التي تناولت المجتمع الجزائري في العهد العثماني، منظور الوضع الراهن في كافة المجالات. خلال القرون الثلاثة من الوجود العثماني في الجزائر، شهدت العملة تغييرات في الوزن والعنوان والقيمة والمسمى. واستلهامًا لتحليلات المؤلفين فيما يلي، تميزت الفترة من 1580 إلى 1620 باضطرابات نقدية خطيرة: فقد أعقب انهيار قيمة aspre ارتفاع حاد في الأسعار (خاصة في العقارات والأراضي). لكن هذه الفترة شهدت ثروة استثنائية بفضل السباق البحري. ويصفها بروديل (1996) بأنها "ثروة الجزائر الثانية مبهرة مثل الأولى، وبالتأكيد ذات حجم أكبر. إذا كانت الفترة من 1630 إلى 1685 اتسمت باستقرار ملحوظ لعملة الجزائر، فقد شهدت المدينة مع ذلك بعضًا من أخطر المجاعات والأوبئة وزعزعة الاستقرار السياسي غير المسبوقة. وانعكس الاتجاه في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

يتزامن الاستقرار النقدي مع التوازن السياسي والازدهار الاقتصادي الذي يؤثر بشكل رئيسي على الجزائر العاصمة والمناطق المصدرة في قسنطينة ووهران، والذي يفيد بشكل خاص الطبقة البرجوازية من التجار والنبلاء. لكن في الوقت نفسه، بين عامي 1795 و1805، رافق استقرار العملة ارتفاع في أسعار المنتجات الزراعية. وفي بعض المناطق، تكون هذه الزيادة أكثر أهمية بسبب تدخل السلطات التي ترغب في استغلال الزيادة في الصادرات لمصلحتها الخاصة. يوضح تحليل تحركات الأسعار والدخل أهمية نموذج لابروسيان المطبق على أزمات الكفاف التي ميزت تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني في عام 1805، حدثت أزمة سياسية

[1] العيد فارس المرجع السابق، ص145.

كبرى: اغتيال الداي مصطفى باشا ومعاونيه[1]، الذين أثروا الصادرات بأسعار مرتفعة. الحبوب إلى أوروبا في حالة حرب.

ويستمر التصدير بينما تضرب المجاعة الجزائر العاصمة، وهي حالة واردة من الأزمات الزراعية القديمة التي تؤثر على الطبقات العاملة، ولكنها تفيد بشكل كبير مجموعات مميزة معينة. وهذه العلاقة الوثيقة بين السلطة والثروة الكبيرة هي حقيقة سائدة طوال الفترة المدروسة، وتنشأ فجوة بين طبقات سكان الحضر والريف من ناحية، وعلى مستوى المجتمع ككل من ناحية أخرى. وفي الجزائر العاصمة، فإن هيمنة العملات الأجنبية، التي غالباً ما تأتي من بلدان في حالة حرب مع الجزائر، هي أيضاً أصل أشكال معينة من التبعية. وكما هو الحال في كل المجتمعات، فإن الإثراء يثير الأذواق الأصلية، مع الطلب على الأشياء الفاخرة ووسائل الراحة المنزلية القادمة من أوروبا: علامات التمييز تغزو بيوت النبلاء والبرجوازية. لكن علامات الحداثة تظل محصورة في مجال الاستهلاك. علاوة على ذلك، هناك أزمة أعمق، لأسباب طبيعية، لها تأثير دائم على المجتمع الجزائري. باختصار، الحصاد السيئ والأوبئة يتبعان بعضهما البعض بوتيرة متسارعة، كما لو أن دورة الموت حلت محل دورة الحياة؛ باستثناء الفئات المميزة التي تحمي نفسها من الويلات ولا تهتم كثيرًا ببقية السكان.

2–وضعية الأرض في العهد العثماني.

كانت الأرض مقسمة إلى أربع فئات رئيسية

أ/أراضي البايلك:

وهي ملك للدولة، ولها الخيار في بيعها أو تأجيرها أو منحها طرف ثالث. وهي مقسمة إلى ثلاث فئات.

– أراضي الحبوس أو الوقف، واسمها مشتق من الأفعال العربية حباسة أو وقافة، تعيين أي أرض وصلت إلى يد صاحبها الأخير وبالتالي محمية منها أي شكاوى. ثم يتنازل المالك عن هذه الأرض بموجب قانون لصالحها

لمجتمع ديني مسؤول عن إعادة توزيع كل الإنتاج تقريبًا على الأكثر محروم ونتيجة لذلك، تصبح هذه الأرض أساسًا مقدسًا، لا يجوز المساس به، ولا يمكن انتهاكه بيعها أو توريثها[1]. وهذا النوع من الأراضي له ما يعادله في المجتمعات المسيحية ويسمى، من بين أمور أخرى، بمصطلح "أرض رجال الدين"؛

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1998 ص452.

– الأراضي الميتة التي يمارس عليها صاحب السيادة حقوقاً مثل الإقطاع، وهو الفعل الذي يقوم به منح لأرض فردية لم تكن مملوكة من قبل لشخص آخر، أو مرة أخرى الحيازة، الأرض الممنوحة لكبار الشخصيات من سياسي أو عسكري أو اقتصادي.

– الأراضي التي أصبحت مهجورة أو أعلنت أنها شاغرة، وتمنح في بعض الأحيان من حق الانتفاع[2].

ب/أراضي العرش:

تُسمى هذه الأراضي العرش، وهي جزء من أراضي القبائل البربرية أو العربية، في مناطق محددة جيدًا. وتتميز هذه الأراضي بثلاثة عناصر الأساسية:

– لا يرثها إلا الرجال، وتستثنى النساء من أي حقوق تتعلق بها.

– المنازعات التي تنشأ على أراضي القوس لا تحل إلا عن طريق الجماعة وليس عن طريقها القضاة (أطباء الشريعة الإسلامية) ؛

– يدفع أصحاب أراضي العرش للملك ضريبة تسمى الحكر، ويحل محلها زكاة المسلمين للأمير عبد القادر.

ج/أراضي المخزن:

وكانت في الأصل تابعة للدولة (أراضي بيليك)، ولكن تم منحها للمستعمرات مستعمرات عسكرية تسمى الزمالة، ودايرة، والمكاحلية، وما إلى ذلك، وهي مستعمرات يكون أعضاؤها عسكريين ومزارعين[3].

د/أراضي الملك:

يندرج هذا النوع من الأراضي تحت سلطة الأفراد الذين يتمتعون بها بشكل كامل ومطلق وبالتالي، يمكن أن تكون عرضة للبيع والإيجار والرهن العقاري.

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الاسلامي ط1 ، 1998 ص180.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص125.

[3] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص280.

اعتمدت الدولة الجزائرية في العهد العثماني بشكل أساسي على النظام العسكري. الذي يتوافق مع تدعيم الاتحادات والقبائل المنظمة لضمان التبعية البعيدة للإمبراطورية العثمانية، كان العنصر التركي قليل العدد وكانت قوة الدولة تأتي من السكان الأصليين.

نستطيع أن نقول أنّ التواجد العثماني الذي استطاع أن يفرض تنظيمه السياسي الخاص من خلال وضع شبكة إدارية تتوافق مع التوزيع القبلي الموجود مسبقًا والتي تناسبها تمامًا، فلقد تم احتلال المناصب الرئيسية بشكل رئيسي من قبل الوجهاء والجنود الأتراك، وبالمقابل كان للأعيان أو زعماء القبائل المحليين مسؤولية ضمان احترام السكان للسلطة التركية المجسدة في تنظيم "البايات".

يتمّ تثبيت العثمانيين في وظائف القادة (المفوضين) الذين يساعدهم الشيوخ (زعيم القبيلة[1])، والذين كان لديهم رؤساء الدوار [2]كمرؤوسين، قبل نظام "الدايّ" وفي ضل التقسيم الثلاثي للمنطقة (البيلربايات، الباشات، الأغوات) فقد بقي النظام القبلي هو السائد وذلك من أجل جمع الضرائب والرسوم، إذ لم يتعد نظام التحكم نطاق المناطق المتاخمة للمدن الرئيسية. لتوسيع سلطتهم إلى جزء كبير من المنطقة، وناشد البايات قبائل معينة، أو عائلات محلية كبيرة، مقابل امتيازات معينة. هذه القبائل "المخزن" كان لها دور الرقابة وجباية الضرائب من قبائل ''الرعايا'' الأخرى لفائدة البايات[3].

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن السلطة العسكرية والسياسية للنظام العثماني تتراجع كلمّا ابتعدوا عن المدن الكبرى؛ إلى الشمال أو إلى الجنوب، القبائل بالكاد دفعوا الضرائب التي فرضتها السلطة العثمانية.

عدد كبير من سكان الريف والركود الديموغرافي في المدن. التنظيم السياسي والعسكري التركي اقترن بتنظيم إداري متوازن وكان يسير مع اقتصاد فلاحي محلي تقليدي يعتمد أساسًا على تكامل الأراضي. هناك كان

[1] القبيلة هي قيمة إجتماعية وثقافية نشأت لضرورة معاشية، وبيئية، تقوم على أساس عصبية النسب وللمزيد من المعلومات حول الموضوع نشير إلى، الغدامي عبد الله، القبيلة والقبائلية هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.

[2] الدوار أولا وقبل كل شيئ يعبر عن وحدة ترابية مجالية، وثانيا هو علامة تعريفية لهويته، وهو من هذه الناحية يعبّر عن خلية قرابية أكثر منها قرابية، للمزيد من المعلومات ينظر، رحمة بورقية ، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحوّل في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت–لبنان، ط1، 1991، ص129.

[3] عائشة بابه ، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني(1519–1830)، مجلة متون، المجلد8، العدد4، جانفي 2017، ص344.

السكان الجزائريون في عهد الوصاية ريفيين بقوة: 95% من السكان يعيشون في الريف وجاء الدخل[1] بشكل رئيسي من الزراعة وتربية الماشية.

وفي التل، حيث كان السكان مستقرين، كانت تمارس أعمال البستنة والتشجير وزراعة الحبوب. وتربية متنوعة تمامًا. في السهول المرتفعة، كان السكان يتألفون بشكل رئيسي من البدو وكان أشباه البدو يمارسون تربية الأغنام وزراعة الحبوب. أراضي الريف المحيطة أو "العزل" كانت تنتمي إلى البايات (أراضي بيليك)، وتم تطويرها من قبل صغار المزارعين المحليين عند دفع الضريبة أو "حكر"[2].

المدن التي يسكنها الأتراك بشكل رئيسي، وبعض الجزائريين من أصل عرقي أو من أصل حضري ولم يتطور كثيرا. وهذا لا يرجع فقط إلى إقتصاد السكان الأصليين الذين كانوا من النوع الزراعي ولكن أيضًا لأن الأتراك، الذين تم ضمان دخلهم من خلال في كثير من الأحيان، فإن تحصيل الضرائب بشكل مسيئ، لم يفعل شيئا لتطوير وتنويع اقتصاد البلاد.

المبحث الثاني: المؤسسات الإجتماعية.

المطلب الأول:المستوى التعليمي.

اشتهرت مدينة قسنطينة بكونها عاصمة بايلك الشرق في العهد العثماني و كونها الحاضرة الثقافية و العلمية التي احتضنت العديد من المراكز الدينية و العلمية و استوطنها الكثير من العلماء و الأدباء و ازدهرت فيها الثقافة و بلغت درجة كبيرة من التطور الفكري بوأتها لتحتل مكانة الصدارة منافسة بذلك اكبر المراكز الفكرية و العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، و قد كان لإنشاء المراكز التعليمية بقسنطينة دور كبير في تطور الحياة الثقافية و أثر كبير في ازدهارها[3]، فبرز العديد من العلماء والأسر العلمية على الساحة الفكرية تمكنّت من تأطير الحلقات العلمية داخل القصر الحكومي بل وتعدّى الامر إلى الإستحواذ على السلطة، نظرا لحاجة هاته

[1] وليم سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص27-28.

[2] فلة قشاعي: النظام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1837-1771 م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1983، ص .76

[3] خيرة بن بلة ، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد17، العدد1، 2019، ص63.

الأخير للنخبة العالمة، لذلك كان اهتمامها بالأسر العلمية من خلال فتح المناصب الرفيعة ورعاية أحوالهم الإجتماعية والمادية، إلى درجة أن برزت ظاهرة البيوتات العلمية التي استفادت من جاه السلطة وحوّلتها للعمل السياسي برئاسة المناصب الرفيعة في الدولة[1].

ونذكر على سبيل المثال أسرة الفقون، التي تربعت على عرش المشيخة العلمية منذ عهد شيخها أبي علي حسن بن الفقون القسنطيني الفقيه و الكاتب و الأديب البارع، الذي عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ومن علماء مدينة قسنطينة الذين أدركوا ابن الفقون، حسن بن أبي القاسم بن باديس من علماء المائة الثامنة ممن لهم تقاييد في السير لم تصلنا. و إلى ذات الأسرة يعود نسب حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني، ابن عم و ابن خالة حسن بن أبي القاسم كانت له رحلة إلى الشرق أخذ فيها عن كثير من علماء الحجاز إلى جانب مشايخه ببلاد المغرب[2].

والنماذج كثيرة في هذا المجال ونضيف عائلة العنابي التي تولّى أفرادها الفتوى، والقضاء الحنفي بعد الإنتقال من بونة إلى الجزائر، وكانت قريبة من مقاليد السلطة والنفوذ السياسي، وأنجبت علماء تقلّدوا المناصب الدينية والسياسية، منهم مصطفى بن رمضان العنابي[3] .

المطلب الثاني: المؤسسات التعليمية.

المؤسسات الثقافية تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليم العلوم الدينية، وقد عرفها أبو راس الناصري يقوله "المدرسة المتعارف عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي تعلمه وتعليمه". وحقيقة الأمر أن الجزائر خلال العهد العثماني عرفت انتشار واسع للمدارس، ويذكر البعض أن مدينة الجزائر كانت تتوفر على ثلاث مدارس للمذهب المالكي ، وكان من أهداف المدرسة في ربوع الوطن الجزائري تحفظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم

[1] خيرة بن بلة المرجع السابق، ص64.

[2] بوبة مجاني ، من خزائن المخطوطات بمدينة قسنطينة خزانة الشيخ نعيم النعيمي، مجلة إنسانيات، العدد35-36، 2007، ص39-56.

[3] جميلة عثماني ، البيوتات العلمية ودورها السياسي في الجزائر العثمانية بيت الفكون أنموذجا(1815-1837)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، عبد الله بابا، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2017-2018، ص14.

مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى كالحديث والنحو واللغة والفقه والتوحيد واستكمال هذه الدراسات بعلم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية[1].

أ/المساجد.

إنّ الفترات التاريخية التي تعاقبت على مدينة قسنطينة تؤكد ثراءها المعماري خاصة المساجد سواء من خلال الشواهد المادية الأثرية أو المكتوبة، وقد كانت المساجد تشكّل أولا وقبل كل شيء مؤسسة دينية لإقامة الصلاة وحفظ القرآن، وثانيا مؤسسة تعليمية لتدريس مختلف حلقات العلم وأصنافه: النقلية والعقلية، بالإضافة إلى دوره الاجتماعي، فهو مؤسسة مقدّسة لها طابعها المقدّس لدى العامة، ويشكل الإمام شخصية رمزية تعمل على حلّ النزاعات، وإيجاد الحلول وقت الأزمات، ومن أهم مساجد البايلك الشرقي نجد:

-جامع سوق الغزل:

لقد قام الدكتور عبد القادر دحدوح من المركز الجامعي بتيبازة بدراسة أثرية حول الجامع خاصة في فترة انعقاد عاصمة الثقافة العربية سنة 2015، وعرّف به، إذ يقع شرق قصر أحمد باي، إلى الغرب من شارع ديدوش مراد، وهو من بناء الباي حسين بوكمية، الذي حكم بايلك قسنطينة سنة 1125م[2].

-الجامع الأخضر:

يقع بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف، وهو يطلّ على شارع سيدي لخضر،وقد كان بناؤه أواخر سنة 1743م، على يد الباي حسين المدعو بوحنك الذي تولّى بايلك قسنطينة سنة 1736[3]، أما عن تسميته بسيدي لخضر فتقول بن بلة أن ذلك ينسب لولي صالح كان قيما عليه وبعد وفاته دفن خلف المسجد الذي

[1] زهية دباب ، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد21، العدد1، 2021، ص178.

[2] عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق، ص69.

[3] المرجع نفسه، ص72.

سمي لاحقا باسمه إلا أن الأرجح في تسميته هو المسجد الأخضر نظرا للونه، الأخضر، يتصف بروعته وإبداعه بشهادة الأثريين كما أنه كان متبعا للمذهب الحنفي.[1]

-مسجد سيدي الكتاني:

يرجع بناؤه حسب الكتابة التأسيسية الخاصة به إلى 1776م، حيث وبعد تولية صالح باي حكم بايلك الشرق، استقرت أحوال البايلك مما ساعد صالح باي في العمل على رقي المدينة في مختلف فكان أول ما فكر به هو بناء جامع لإقامة الصلوات ومدرسة لتعليم الشباب، فشيّد جامع سيدي الكتاني الذي سمي بهذا الإسم نسبة إلى ولي صالح مدفون في ذلك المكان، يقع المسجد في شارع بوهالي سعيد في الجهة الشمالية الغربية حده شرقا المدرسة الكتانية وغربا دار صالح باي، أما شمالا فيحده بعض المنازل والحوانيت القديمة وجنوبا سوق العصر[2].

ب/الزوايا.

لا يختلف اثنان في أنّ الدين بشقيه: الرسمي الممارس من قبل مختلف الشرائح في المجتمعات الإسلامية، والشعبي الذي يمارس حول أضرحة الصالحين والزوايا يشكلّ عنصرا مهمّا في حياة الفرد والمجتمع، حيث يلعب الدين دور مهمّ في التنظيم الاجتماعي، إذ تطلعّ الزاوية بأدوار مهمة في حياة المجتمع، وهي أداة قبلية تنظيمية جد متطورة، لنفوذها الاجتماعي ودورها الثقافي[3]: ومن أشهرها المتواجدة في بايلك الشرق والتي بلغ عددها 13 زاوية حسب المصادر الأجنبية نذكر: -زاوية سيدي التلمساني: التي يرجع بناؤها الى حسن آغا، خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، غير أنّ الإستعمار هدمها وبنى في موضعها معبدا لليهودية، بالإضافة إلى زاوية الفقون، وابن محجوبة[4].

[1] رزيقة غواري ، الزخرفة على المشغولات الخشبية والبلاطات الخزفية بمساجد قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة دراسات، المجلد 12، العدد2، 2024، ص297.

[2] المرجع نفسه، ص297-298.

[3] منصور مرقومة ، القبيلة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي مقاربة انتروبولوجية، دار الروافد الثقافية، ط1، 2015، ص100.

[4] عبد القادر دحدوح ، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، العدد19، ص1171.

ج/المدارس والزوايا الصوفية في الجنوب.

لا شك أن المدارس والزوايا الصوفية لعبت دورًا بارزًا في تاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية، فقد تخرج منها العديد من العلماء والقادة، وكثيرًا ما كانت منطلقًا لمعظم الثورات التي شهدتها المناطق الصحراوية. كما قاومت معظم الزمر الصوفية التوسع الاستعماري، وإن فضل بعضها التنازل بسبب التنافس على النفوذ من جهة، أو بسبب ظروف خاصة تحيط بزمرة معينة من جهة أخرى، وقد حددنا أبو القاسم سعد الله في معظم الجوانب التعليمية السائدة في الجنوب؛ بمشايخها وطرق تدريسها مثل طولقة زاوية الشيخ علي بن عمر الزاوية الناصرية بالخناكة سيدي ناجي الشيخ المختار بن خليفة الزاوية بأولاد جلال المحمد زاوية بن بلقاسم بالحامل، والزاوية التجانية وفروعها العين ماضي وتماسين والزاوية القمرية[1].

لم تقتصر الحركة التعليمية على شيوخ الزوايا، بل كان هناك أيضًا مدرسون متطوعون في مختلف المساجد، وبعضهم تطوع للتدريس في منازلهم أو في أماكن أخرى. إلا أنه مع انتهاء الاحتلال لظاهرة التعليم المجاني المدعوم بالأوقاف، أصبح هذا النوع من التعليم مقتصرًا على الزوايا الصوفية أو زوايا المقاتلين الذين حصلوا على اعتراف من السلطات الفرنسية لأسباب سياسية واجتماعية[2].

أما بالنسبة لأنظمة التدريس وأسماء بعض المدرسين في مساجد ومدارس بسكرة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، وجه المفتشون المعلمين إلى إعداد الطلاب لدخول المدارس الدينية الفرنسية، لا إلى تعليم أولياء الأمور قواعد اللغة العربية وآدابها والدين الإسلامي. وقد حرم هذا المعلمين من مكانتهم الدينية، ليس فقط في مجال المحاماة، بل أيضًا في المواد الدراسية والتوجيه[3].

وأبرز سعد الله دور منطقتي التوات والأزواد وما حولهما في التجارة والتصوف والعلم على مر العصور، مستشهدًا بكتاب الدكتور محمد الصلاح حوتية عن "التوات والأزواد"، الذي ذكر فيه سعد الله أنهما بقيتا بعيدتين عن أعين المستعمرين في العصر الحديث، رغم كونهما معبرًا للقوافل التجارية. كما أكد على أن هذه المنطقة حافظت على تراثها العربي الإسلامي ونظامها الاجتماعي والثقافي رغم عزلتها وتباعد قصورها. أوضح

[1] أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2003، ص215-226.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 المرجع السابق، ص 216.

[3] المرجع نفسه، ص159.

الأهمية السياسية والاقتصادية والثقافية للمنطقة، بالإضافة إلى الدور الريادي للطرق الصوفية والزوايا. فهي محطة تواصل بين الجزائر وجيرانها غربًا وجنوبًا، وحلقة وصل بين شعوب إفريقيا والمغرب العربي الإسلامي

في معرضه الأخير حول مدارس ميزاب، يُعرّفنا بمعهد ابن يسقن، الذي تأسس عام 1266م، ويُسهب في شرح ترجمة مؤسسه الشيخ محمد بن يوسف أطفيش، ويُحدّثنا عن حركته الإصلاحية ودوره في مطالبة السلطات الاستعمارية باحترام معاهدة الحماية لعام 1835م، وقد تحقّق ذلك بتخفيض الغرامات على أهالي ميزاب، وترك إيجارات الأوقاف في أيدي المساجد الإباضية كما يُحدّثنا عن تأليفه كتابه "الشافية" عن تاريخ ميزاب كما يُقدّم لنا ترجمةً شاملةً ومُفصّلةً لأنشطة وأعمال الصحفي أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى (1888-1973م/1306-1393هـ) ودوره في مجال الصحافة ونشر الكتب من خلال تأسيس المطبعة العربية عام 1350هـ/1931م[1].

د/المكتبات.

كانت مدينة قسنطينة إحدى الأمصار الإسلامية التي عرفت تشكل مكتبات بسبب مكانتها العلمية بين مختلف الأمصار. وتبدو لنا هذه المكانة من خلال علمائها الذين نالت بعضا من شهرتها بهم ممن وضعوا التصانيف في شتى علوم عصرهم و تتلمذ عليهم عدد كبير من طلاب العلم في مناطق عديدة من العالم الإسلامي و في أمصار علمية شهيرة مثل مكة و المدينة المنورة و القاهرة و دمشق و بيت المقدس و تونس و فاس و غيرها من كبار القواعد العلمية.

و من دون شك أن المؤسسات التعليمية بهذه المدينة من مساجد و مدارس و زوايا إضافة إلى بيوت كبار العلماء مثل ابن القنفد القسنطيني و ابن الفكون و غيرهم كثير يضاف إليهم قصور الحكام و الأمراء و كبار رجال الدولة الذين كانت دورهم و قصورهم فضاءا علميا يجمع كبار العلماء، كانت لها هي الأخرى مدخراتها من الكتب والتآليف وهو ما تؤكده الوقفيات المدونة على الورقات الأولى من مدخرات بعض هذه الخزائن مثل خزائن بعض المساجد و الزوايا التي جمعت أشهر علماء هذه المدينة، مثل جامعها الأعظم الذي شيّد أيام الزيريين و كذلك المسجد الذي أسسه أحد كبار علمائها عند أحد بابيها ،باب القنطرة وهو مسجد الشيخ الصوفي و العالم أبي عبد الله الصفار، و مسجد القصبة، مسجد الأمراء و كبار رجال الدولة الذي كان يلتقي

[1] أبو القاسم سعد الله ، بحوث في تاريخ العربي الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2003، ص264-275.

فيه كبار علماء العصر الموحـدي و الحفصي، ومسجد أبي الحسن علي بن مخلوف و غيرها من المساجد التي شيّدها كبار علماء ومتصوفة المدينة.

وكان للمكتبات هي الأخرى دورها ومكانتها في الحياة الثقافية فكبار العلماء كانت لهم خزائنهم الخاصة بهم التي ضمتها دورهم، كما أن المدارس والزوايا كانت هي الأخرى تحتوي على خزائن وهي التي استمر تداول ذخائرها بين العلماء وطلبة العلم حتى الفترة المعاصرة عن طريق النسخ، أو الشراء، مما يبين أن صناعة الكتاب استمرت إلى ما بعد نهاية العصر الوسيط. وهذا الاستمرار عن طريق النسخ أو الشراء أو الوقف هو الذي حافظ على هذه الخزائن التي ظلت منتشرة في مدينة قسنطينة حتى وقتنا الحاضر وغالبيتها تعود إما للأسر العلمية والعريقة في هذه المدينة التي ظلت منتمية إلى الثقافة التراثية أو الثقافة العربية الإسلامية.[1]

هـ/المرأة الجزائرية والفنون

في كتابات أبو القاسم سعد الله، يُعدّ تناول دور المرأة الجزائرية في المجال الفني من الجوانب المهمة والمثيرة للاهتمام. يستكشف سعد الله تاريخ المرأة الجزائرية في مختلف الفنون، مُسلّطًا الضوء على مساهمتها في إثراء المشهد الفني الجزائري وتعزيز الهوية الثقافية للبلاد. ومن خلال سرد هذه القصص والإنجازات، يهدف سعد الله إلى تسليط الضوء على القدرات والمواهب الفنية للمرأة الجزائرية. ويعتبر هذا النهج فرصة لنقل تجارب الفنانات، والتعريف بإبداعاتهن، وتأثيرهن على الساحة الفنية المحلية والعالمية، علاوة على ذلك، يناقش سعد الله التحديات والعقبات التي واجهتها الفنانات الجزائريات في مسيرتهن الفنية، وكيف تمكنت الكثيرات منهن من التغلب على هذه الصعوبات وتحقيق النجاح[2].

يساهم هذا النقاش في فهم أعمق للتحديات الاجتماعية والثقافية التي تواجه المرأة الجزائرية في مجال الفنون، ويزيد الوعي بأهميتها وقيمتها كشاهدة ومبدعة، في الماضي، كانت الموسيقى والغناء جزءًا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية في المجتمع الجزائري، على الرغم من اختلاف آراء العلماء حول جوازهما. كانت هناك ثلاث مناسبات رئيسية انخرط فيها الناس في الموسيقى والغناء والرقص: المناسبات الاجتماعية كالتجمعات الروحية،

[1] مجاني بوبة، من خزائن المخطوطات بمدينة قسنطينة خزانة الشيخ نعيم النعيمي، مجلة إنسانيات، العدد35-36، 2007، ص39-56.

[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص443-444.

واجتماعات النساء في الحمامات، واحتفالات الختان؛ والمناسبات الدينية كالمولد النبوي، وموسم الحج، وليلة القدر؛ والمناسبات الرسمية مثل تعيين باشا جديد واحتفالات الانتصار على الأعداء[1]

شجّعت الممارسات التقليدية دعم الفنانين والموسيقيين، حيث كانت تُقدّم لهم الهدايا في المناسبات، ويتلقّون أجورًا مرتفعة، لا سيما في المناسبات الدينية والرسمية. تميّزت الأغاني بمواضيع تاريخية، تُركّز على حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلفه الصالح، بالإضافة إلى قصص بطولية تُمجّد تاريخ العرب والمسلمين، مُستمدّة أحيانًا من ألف ليلة وليلة وغيرها من الحكايات الشعبية. كان الرقص حكرًا على النساء في المقام الأول، لا سيما في المناطق الحضرية، وكانت هناك أنواع مختلفة من الرقصات تختلف باختلاف السياق الاجتماعي والثقافي كما كان هناك رقص رجاليّ أكثر تواضعًا في المناطق الريفية، ورقصات ترفيهية للنساء في الحمامات العامة وغيرها من المناسبات الاجتماعية.

على الرغم من أهمية الموسيقى والغناء والرقص في المجتمع الجزائري، إلا أنها لم تُوثّق بشكل كافٍ في الأدبيات العلمية، ربما بسبب النقد الاجتماعي لهذه الفنون. ومع ذلك، فقد قدّم أجداد الجزائريين الموسيقى والغناء واستمتعوا بهما، إلا أنهم عانوا من الإهمال والجهل خلال العصر العثماني[2].

المطلب الثالث: الأوقاف والخدمات الإجتماعية المرتبطة بها.

في العالم الإسلامي، الوقف أو الحبوس هو تبرع دائم من قبل فرد لعمل ذي منفعة عامة أو تقية أو خيرية، وبالتالي تصبح الممتلكات الممنوحة في حق الانتفاع غير قابلة للتحويل[3]. وقد تناولت الأبحاث المتعلقة بالإسلامولوجيا معنى هذا الإجراء وأهميته، أولاً من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، ثم من الزاوية الضيقة للتخطيط الحضري الإسلامي بشكل عام، وقد اتفقت هذه الدراسات على اعتباره من أهم الأعمال والتي كثيرا ما لجأ إليها المجتمع المسلم وبالتالي، واحتلت العقارات التي تندرج ضمن هذه الفئة مكانًا منفصلاً وكان عليها أن تتطلب إدارة مجتمعية محددة كشرط أساسي لاستدامتها.

1أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص444.

[2] المرجع نفسه، ص445.

[3] سليمان أبو خليل بن عبد الله، الوقف في الشريعة الإسلامية حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والإجتماعية جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية– الرياض، 2008، ص9.

وفيما يتعلق بالفقه الإسلامي، فإن الحبوس يتوافق مع أساس غير قابل للتصرف لصالح الأعمال التقية أو أعمال المنفعة العامة ومع ذلك، فإن الطقوس المختلفة تعترف بحالات إستثنائية فعند ابن مالك وأبي حنيفة، يبقى العقار مثلا ملكا للواهب وورثته، لكن لا يجوز لهم التصرف فيه وعلى النقيض من ذلك، يرى ابن حنبل أن الملكية يجب أن تعود إلى المستفيدين من المؤسسة، ومع ذلك، باعتبارها مؤسسة اجتماعية صقلتها القرون وتكيفت مع الاحتياجات والمصالح الحقيقية للمشرعين، يمكنها أن تقدم وسيلة قانونية لحماية الأملاك من المصادرة والإستيلاء[1]، من بين أمور أخرى، من قبل السلطة المركزية العثمانية، المعروفة بأهدافها التقديرية، كما أدى إنشاء الحبوس إلى التحايل على قوانين الميراث التي يفرضها الدين، وبالتالي ضمان انتقال العقارات أو الأراضي في أيدي المستفيدين الذين تم اختيارهم بشكل تعسفي[2].

ما يقرب من 300 سجل من بايليك وبيت المال، تجمع بين المجموعتين الأرشيفييتين اللتين درستهما الباحثة سامية شرقي 1981 و1991 وتغطي إلى حد كبير الفترة العثمانية بأكملها وتحتوي على معلومات عن وقف الحمامات وتوجد الأخيرة في وثائق مؤسسة الوقف نفسها وفي المستندات المحاسبية والمخزونات والمعاملات المختلفة، وقد ثبت أن التحليل المنهجي لسجلات أعمال ومعاملات الوقف، والتحليل الدوري (كل 10 سنوات) للسجلات المحاسبية والمخزونية ضروري وأساسي لجمع المواد اللازمة لدراسة الوقف وإدارة الحمامات[3] تم تجميع البيانات المتحصل عليها في 70 سجلاً موزعة على كامل الفترة العثمانية على النحو التالي: 33 سجلاً محاسبياً، و25 جرداً، و11 ملخصاً لأعمال الوقف، وسجلاً واحداً للمعاملات (عملية الشراء والبيع)

أما فيما يتعلق بمجموعة المحاكم الشرعية فإن تحقيقاتنا لم تتناولها إلا بشكل جزئي لكثرة القطع التي تحتويها ونقص جردها العام الذي لا يحدد طبيعة المباني التي تغطيها الوثائق المعنية لم يتم تحليل سوى أربع قطع تتعلق بحمامات المدينة وتتمثل في وثائق الوقف الأصلية لأربعة من أهم الحمامات في مدينة الجزائر مثلا[4].

[1] فاتح عرابة ، ماهية الوقف عند المذاهب الأربعة وأثر الخلاف فيه، مجلة الثقافة الإسلامية، المجلد16، العدد1، 2022، ص136-137.

[2] Samia chergui, le waqf et l'urbanisation d'alger à l'époque ottomane, Insaniyat, 44-45, 2009, p21-32.

[3] Ibid, p21-36.

[4] Nacer dinne saidouni, le waqf en algérie à l'époque ottomane, xvii siècle, kuwait, 2009, p36-37.

تقع معظم الحمامات التي بنيت خلال القرن السادس عشر في المدينة السفلى. وقد نشأوا على يد السادة الجدد للمدينة المحيطة بدار السلطان في المنطقة الإدارية السياسية للجناينة –كتشاوة أربعة منها هي من أعمال أول وأشهر ملوك الوصاية: حسن باشا ابن خير الدين بربروس عام 1550 ، محمد باشا عام 1567 ، وأخيراً خضر باشا بين عامي 1589 و1596 في المدينة العليا، تم بناء حمام واحد فقط خلال القرن السادس عشر: وهو حمام ابن الأزهر الذي أنشئ حوالي 1576–1577 في شارع بورت نوف بالقرب من البوابة الجديدة لباب الجديد التي أنشأها الأتراك في نفس الوقت الذي يتم فيه توسيع المناطق السكنية في القطاع الغربي أسفل القلعة[1].

الوقف هو وقف إسلامي مخصص لمصلحة المجتمع أو الأفراد أو أفراد الأسرة أو أي مستفيد آخر لا تحرمه الشريعة. على مدار التاريخ الإسلامي، كانت أماكن العبادة الدينية، على سبيل المثال المساجد، ولكن أيضًا المدارس والجامعات والمستشفيات والآبار العامة وحتى البنية الأساسية مثل الطرق، والأمر الأكثر أهمية هو أن أصول الوقف كانت مفيدة في توفير صمامات الأمان الاجتماعية والاقتصادية من خلال دورها في تعزيز الدين والتعليم والمأوى والصحة والأمن الغذائي والتحول الريفي الحضري. وفي القرن العاشر، كان الوقف وسيلة فعالة لتمويل التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات الإسلامية، مثل الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

لقد وجد أن نظام الوقف بصفة عامة، ومؤسسات الوقف بصفة خاصة، قد لعبت دوراً هاماً في حياة المجتمع، حيث توفر الأوقاف مناصب ووظائف مهمة، حتى خارج المجال الديني.

هذا فضلاً عن مساهمتها في مساعدة الفقراء والمحتاجين وتخفيف أعبائهم داخل الدولة وخارجها، مثل أوقاف الحرمين الشريفين، وترقية التعليم، وتوفير الخدمة العامة، وإصلاح الطرق، والإنفاق على الحصون، وغير ذلك[2].

وقبل الشروع في تحليل التركيبة المؤسسية وتطور قطاع الوقف في الجزائر آنذاك، لا بد من الإشارة إلى أهمية التعايش المذهبي بين المفهوم الحنفي للإسلام الذي تبنته السلطة المركزية التي تولت مسؤولية قضايا السياسة الشرعية والعقائدية، والمفهوم المالكي الذي تولى الشؤون المحلية وهذا يؤكد التعايش المذهبي، ووفقًا للدراسات

[1] أسعيد عليوان ، أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الغجتماعية والثقافية، مجلة الإحياء، العدد11، ص301.

[2] صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وموقف الإحتلال الفرنسي منه، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد2، 2020، ص241.

والوثائق المتعلقة بالأوقاف في الأرشيف (الأرشيف المضبوط في مؤسسة آكس أون بروفانس بفرنسا)، والتي تنص على أن كثيرًا من الجزائريين وضعوا أوقافهم على أساس المفهوم الحنفي نظرًا لديناميكيته ومرونته[1].

وكان لهذا التباين المذهبي والتشريعي آثار على إنشاء المؤسسات وإدارتها؛ ومن أهم مسائل الخلاف في الوقف عند الحنفية والحبوس عند المالكية، شروط الوقف، ومسألة الاستبدال وغير ذلك، وفي إطار التعايش بين المذهبين، أُسندت مهمة الأوقاف القضائية إلى المجلس العلمي، الذي نظم اجتماعاً كل يوم خميس لدراسة شروط الأوقاف، حيث ضم علماء من المذهبين، ويمكن تلخيص وظيفة هذا المجلس الإداري على النحو التالي:

- تحصيل إيرادات الوقف وتوزيعها على مستحقيها وفقاً لشروط الواقف.

- إصدار الأحكام الشرعية في المعاملات المختلفة المتعلقة بالوقف[2].

كانت أملاك الوقف تدار بواسطة موظفين يطلق عليهم الأوصياء، تعينهم السلطات العمومية ممثلة في الباشا أو سلطة قضائية ممثلة في المفتي، وكان اختيار هؤلاء الموظفين يتم حسب السمعة الاجتماعية للشخص من حيث تقواه أو نسبه. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التعيين لم يكن دائمًا حيث يمكن إلغاؤه في حالة سوء الإدارة أو الإهمال، وكان الأوصياء يختلفون في مسؤولياتهم وفقًا لأهمية مؤسسة الوقف الموكلة إليهم، من حيث عدد الأملاك. على سبيل المثال، كانت مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين هي الأكبر في الجزائر في ذلك الوقت، لذلك كان ناظرها يعتبر أعلى موظف إداري في مدينة الجزائر. كانت وظيفة هؤلاء، ومن بين مهام الأمناء إصلاح وصيانة ممتلكات الوقف، ودفع أجور العمال، وجمع عائدات هذه الممتلكات[3].

---

[1] عائشة غطاس ، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الإقتصادي والإجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر-العهد العثماني، المرجع السابق، ص69-89.

[2] عبد الرحمن بوسعيد ،الأوقاف والتنمية الإجتماعية والإقتصادية بالجزائر ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر ،في اطار المدرسة الدكتورالية – الدين والمجتمع –كلية العلوم الإجتماعية ، قسم الفلسفة جامعة وهران، 2011-2012، ص28-34.

[3] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 2001، ص283.

تميزت فترة حكم الدولة العثمانية في الجزائر بانتشار ونمو سريع للأوقاف في مختلف أنحاء البلاد، من نهاية القرن الخامس عشر حتى بداية القرن التاسع عشر وشكلت الممتلكات الزراعية في المناطق الحضرية نسبة كبيرة من الأوقاف منذ أواخر القرن الثامن عشر[1] وفي عام 1750، زادت عقود الأوقاف اثني عشر ضعفًا مقارنة بعام 1600، مما يجعل هذه الفترة واحدة من أهم الفترات من حيث العدد الكبير للأوقاف في الجزائر بالإضافة إلى ذلك، خلال هذه الفترة، تم تطوير وتوسيع وعاء الأوقاف الاقتصادية لتشمل الممتلكات والأراضي الزراعية والمحلات التجارية والفنادق وأفران الخبز وما إلى ذلك، وانتشرت الأوقاف في الجزائر في ظل الدولة العثمانية إلى العديد من الجمعيات الخيرية، والتي كانت دينية بطبيعتها وقانونية في شخصيتها وتديرها جهات خاصة وفيما يلي أهم المؤسسات التي كانت تتولى إدارة الأوقاف في الدولة العثمانية الجزائرية:

أ/أوقاف الحرمين الشريفين:

تعتبر هذه المؤسسة من حيث نشأتها أقدم مؤسسة وقفية في الجزائر، حيث تأسست قبل الحكم العثماني، وكانت عائدات أوقافها تؤول إلى فقراء مكة والمدينة، تارة براً بقوافل الحجاج وتارة بحراً في سفن المسلمين أو المسيحيين، وذلك في بداية كل عامين، حيث تصل إلى الوكالة الجزائرية بالإسكندرية، ومنها إلى الحرمين الشريفين وقد حازت مؤسسة الحرمين الشريفين على النصيب الأكبر من الأوقاف في الجزائر، وذلك لما للحرمين الشريفين من مكانة عالية في نفوس الجزائريين، الذين وقفوا على ذلك كثيراً من أملاكهم، الأمر الذي وضعها في مقدمة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأوقاف التابعة لها، والأعمال الخيرية التي قدمتها كإعانات لأهل الحرمين الشريفين المقيمين في الجزائر أو المارين عبرها. وفي الوقت نفسه، كانت هذه المؤسسة مسؤولة عن الإنفاق على ثلاثة مساجد أخرى في مدينة الجزائر، حيث كانت تشرف وتدير حوالي ثلاثة أرباع مجموع الأوقاف الدينية[2].

وقد أشارت بعض التقارير الفرنسية إلى أن أوقاف الحرمين الشريفين تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال على سبيل المثال، ذكر تقرير "جنتي دو بوسي" أن أوقاف الحرمين الشريفين تقدر بنحو 1373 عقارًا و70 قطعة أرض.20 وعلاوة على ذلك، ذكر القنصل الفرنسي "فاليارد" أن جميع منازل الجزائر والأراضي المحيطة بها تابعة

[1] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، المرجع السابق ، ص280.

[2] وفاء دريدي ، مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر ودورها في خدمة المجتمع الجزائري ومجتمعي مكة والمدينة، مجلة تحسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، المجلد3، العدد1، 2023، ص77.

لمؤسسة الحرمين الشريفين وبالتالي، فقد أكد أن أوقاف الحرمين الشريفين استحوذت على الجزء الأكبر من الأوقاف خارج مدينة الجزائر.

ب/أوقاف المسجد الأعظم:

وقد اشتهر هذا المسجد بدور مهم في العهد العثماني قضائياً ودينياً وتربوياً واجتماعياً وسياسياً، حتى إنه غطى أنشطة جميع المساجد الأخرى التي بناها الولاة العثمانيون، والتي تجاوزت أكثر من 100 مسجد في أواخر القرن السادس عشر وتجدر الإشارة إلى أن إدارة المسجد الكبير كانت مستقلة، وكانت عائدات إيجارات أوقافه تساعد كثيراً في أداء وتمويل وظائف وأنشطة متعددة. فقد ورد في تقارير فرنسية أن أوقاف المسجد الكبير كانت تحتوي على: 125 منزلاً، و39 محلاً تجارياً، و3 أفران، و19 بستاناً، و107 مداخيل أخرى من مصادر مختلفة وكانت عائدات هذه الأوقاف تفيد وتساعد مجموعة كبيرة من الناس تتكون في الغالب من 19 إماماً، و18 مدرساً، و08 مؤذنين، وهكذا علاوة على ذلك[1]، تم إنفاق الإيرادات على الصيانة وتشغيل الخدمات، بينما تم توجيه الفائض لإنشاء المدارس الإسلامية والمساجد وغيره[2].

ج/مؤسسة الأوقاف الحنفية بسبل الخيرات

هذه المؤسسة الوقفية ذات الغرض الخيري كانت مرتبطة بالمذهب الحنفي في الجزائر أسسها شعبان خوجة سنة 1590م، وكانت تهدف إلى تمويل المشاريع العامة مثل إصلاح الطرق وقنوات الري ومساعدة الضحايا وذوي الإعاقة وبناء المساجد والمعاهد العلمية وشراء الكتب ووقفها على طالبي المعرفة وفي الوقت نفسه، كانت هذه المؤسسة مسؤولة عن إدارة وصيانة 8 مساجد بما في ذلك المسجد الأكثر شهرة المسمى "المسجد الجديد"، وعلاوة على ذلك، كانت المنظمة تتألف من أعضاء، من بينهم 8 مستشارين إداريين منتخبين، وناظر مؤسسة الوقف، والمكتتب الذي ينظم عقود المؤسسة، بالإضافة إلى الأمناء، والكتاب الذين كانوا جميعًا من العلماء غالبًا، وكذلك

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص10-11.

[2] تريكي لزهاري ، معاوضة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر بين المذهبين المالكي والحنفي، مجلة آفاق علمية، المجلد10، العدد1، 2018، ص88-89.

الشاويش (عامل الصيانة) الذين أشرفوا على حماية مباني هذه المؤسسة وتسهيل عمل طالبي العلم وقد قدرت ممتلكات مؤسسة سبل الخيرات بثلاثة أرباع الأوقاف العامة، والتي كانت تضم حوالي 92 محلاً تجاريًا، 8 منها استغلها اليهود، وهذا إشارة إلى سماحة الإسلام وعدالته بين مواطنيه وقد قدر إجمالي إيرادات هذه المؤسسة بحوالي 4455 ريالًا سنويًا، بالإضافة إلى إيرادات أخرى من المتاجر والفنادق والحمامات، والتي تشكل حوالي 320 ريالًا سنويًا[1].

د/مؤسسة أوقاف بيت المال

أشرفت هذه المؤسسة على رعاية أبناء السبيل والأيتام والفقراء والسجناء، كما كانت مسؤولة عن الأشياء الثمينة التي تخص الدولة إضافة إلى ذلك، فقد تولت مهمة إنشاء المرافق العامة مثل الطرق والجسور وبناء دور العبادة مثل المساجد والزوايا، وقد عهد إلى مؤسسة بيت المال بالعقارات الشاغرة التي ليس لها ورثة، فوضعت تحت بيت المال العام باعتبارها ملكًا للجماعة المسلمة[2]،

كما تولت تسوية التركات وحفظ أموال الموتى من الفقراء وأبناء السبيل وصرف بعض الصدقات على المحتاجين وقد أصبحت هذه المهام الدور الرئيسي لهذه المؤسسة خاصة في أواخر العهد العثماني. "ويجب أن نلاحظ أن هذه المؤسسة كانت مستقلة عن البايلك (الإدارة العامة)، وكانت تهتم بدفع مساهمة شهرية تقدر بسبعمائة فرنك إلى خزينة الدولة، وتغطية نفقات الفقراء، وضمان دفع رواتب القضاة وبعض علماء بيت المال[3].

هـ/مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:

تأسست مؤسسة أوقاف أهل الأندلس بعد محنة الأندلسيين الذين فروا إلى شمال إفريقيا واستقروا في المدن الساحلية وانضموا إلى الحرب ضد الإسبان، إذ امتلك الوافدون الجدد من الأندلس أراضي كثيرة في الجزائر، وأنشأوا لأنفسهم مسجدًا في عام 1033 هـ، وأوقفوا أوقافًا عديدة داخل المدينة وخارجها وخصصت هذه

---

[1] عقيل نمير ، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر "أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية"، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، ص119.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق ، ص244.

[3] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-، 1986، ص90-95.

الأوقاف للإنفاق على العبادة ومساعدة الفقراء من الوافدين الأندلسيين وكان يشرف على الأوقاف أمين يسمى ""أمين الأندلس""[1] وتذكر الدراسات أن أوقاف الأندلس تجاوزت 40 عقارًا، بالإضافة إلى تخصيص ما يعادل 61 دخلاً مختلفًا، ولكنها تلاشت بعد هدم مدرسة الأندلس في عام 1841 وقدّرت الأوقاف بما يعادل 408072 فرنكًا ذهبيًا في عام 1837[2].

و/أوقاف المدارس الإسلامية والصالحين والأشراف

هذه المؤسسات المستقلة المختلفة مرتبطة بأشخاص أسسوها في حياتهم وكانت مهمة هذه المؤسسات تتمثل في دفع تكاليف المؤسسات التعليمية أو الدينية الحالية، وكان الفائض يوزع على فقراء الأشرف الثلاثين وبيت المال أشهر هذه المؤسسات تلك التي تشير إلى ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي الذي يضم حوالي 72 عقارًا حققت إيرادات تقدر بحوالي 6000 فرنك فرنسي في عام 1937.

ز/أوقاف المرافق العامة (الطرق والقنوات والأنفاق):

تم وقف العديد من العقارات داخل المدينة وخارج الجزائر للإنفاق على المرافق العامة مثل الطرق والجداول والقنوات، وكان لهذه المرافق العديد من الأوقاف والأمناء المعينين (الشاويش) المعروفين بأمناء الطرق والجداول والعيون.

مؤسسة أوقاف العسكر والثكنات:

تم تخصيص هذه الأوقاف لكل من الثكنات السبع في المدينة، بحيث تعود عائداتها بشكل مباشر على العسكريين المقيمين في تلك بيوت الوقف وعقاراته. كانت عقارات الوقف تتمثل في بيوت أو ملاجئ صغيرة تتسع لما بين 200 إلى 300 رجل، وبيوت كبيرة تتسع لما بين 400 إلى 600 جندي. وكانت الأموال مخصصة في الأصل للجنود الذين حصلوا على ترقية، حيث كانت الترقية في العمل مرتبطة بأهمية عقار الوقف، ومع ذلك، كان الجنود يحصلون على رواتبهم مباشرة من الحاكم (الباشا) وكانت عائدات الوقف تنفق على

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ج1، ص232.

[2] وافية نفطي ، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن18 م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة ليل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية ،2016/2017 ص63-67.

شيء آخر مثل الهدايا. وتجدر الإشارة إلى أن أمناء الأوقاف كانوا يعينون من قبل سكان المنطقة، وكانت الأوقاف تدير بيوتها وملاجئها (جنودها) دون تدخل السلطات المحلية، مما يعكس ديمقراطية القرار في مؤسسة الأوقاف واستقلالها عن السلطة المحلية[1].

[1] وافية نفطي ، المرجع السابق، ص76-77.

الفصل الثاني

قراءة تحليلية لكتابات أبو القاسم سعد الله حول الحياة الإجتماعية

المبحث الأول: منهجية ابو القاسم سعد الله في دراسة الحياة الإجتماعية.

المبحث الثاني: تحليل نصوص أبو القاسم سعد الله حول الحياة الإجتماعية

المبحث الثالث: نقد وتقييم كتابات أبو القاسم سعد الله.

الفصل الثاني: قراءة تحليلية لكتابات أبو القاسم سعد الله حول الحياة الإجتماعية

المبحث الأول: منهجية ابو القاسم سعد الله في دراسة الحياة الإجتماعية.

المطلب الأول: الأسس المنهجية التي اعتمدها في كتابة التاريخ.

إن غياب الأعمال الجادة حول الامة الجزائرية في تلك الفترة، والنهج "المشوه والمختصر" للمؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا وفسروا في الغالب تاريخ الجزائر وخاصة تطورها كعضو فعال في البلدان النامية وزعيمة البلدان المستقلة حديثًا، ألهم مشروع أبو القاسم سعد الله وكان مترجماً ممتازاً، ومن أبرز مؤلفاته كتاب "حياة الأمير عبد القادر" الذي ترجمه من الإنجليزية إلى العربية عام 1971، وهو عمل الكولونيل تشرشل وهو عمل عالي الجودة، وهذا كتاب تمت ترجمته أيضًا إلى الفرنسية بواسطة ميشيل هابارت وحقق الكتاب نجاحاً كبيراً وطبع منه أكثر من تسع طبعات[1].

تشكلّ أطروحته حول بداية القومية الجزائرية، (التي دافع عنها في مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1965) أثرا كبيرا على جميع الباحثين الجزائريين في التاريخ، ولا سيما مسألة "نشأة" الامة الجزائرية ويمكننا القول أنه كان من الرواد ومن القلائل مع مصطفى الأشرف الذين هيؤوا الأرضية الخصبة للتاريخ الثقافي المعاصر للجزائر، ولا شك أن أعماله المرجعية ستظل التاريخ الثقافي للجزائر، ولكن قبل كل شيء تاريخ الامة الجزائرية، وفي اعتقاده الشخصي، كانت القومية الجزائرية "ثقافية" قبل كل شيء لقد ولدت في نفس اليوم الذي تعرض فيه المغرب للعدوان الاستعماري سنة 1830 نتيجة لردود الفعل الثقافية ثم السياسية لحمدان خوجة والقاضي ابن العنابي وآخرين. وهكذا، بالنسبة له، استيقظت الامة الجزائرية مع ظهور العدوان الفرنسي عام 1830[2].

---

[1] بشير بلاح، مسارات قلم أبو القاسم سعد الله، مجلة عود الند، العدد63، 2011، ص10-15.

[2] في أكتوبر 1956، حولت فرنسا طائرة زعماء جبهة التحرير الوطني من خارج تونس ومن بينهم مصطفى الأشرف (1917-2007)،

وهو مثقف غير معروف في فرنسا على الرغم من نشره في العديد من المجلات العلمية والصحف الفرنسية بعد أن كتب في جريدة L'Etoile algérienne من عام 1948 إلى عام 1949، وحزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات (PPA-MTLD) (ديمقراطي) في فرنسا، انضم هذا الناشط الاستقلالي إلى فرع جبهة التحرير الوطني (جبهة التحرير الوطني) بدأ الأشرف في الاهتمام بالتاريخ - وهو التخصص الذي لم يتلق أي تدريب فيه أكاديميًا - ومن خلال كتابة المقالات

مصطفى لشرف (1917-2007) في كتابه المرجعي الجزائر-الأمة والمجتمع" كانت قد طرحت نفس الفكرة. وبالإضافة إلى ذلك، من المحتمل جدًا أن سعدالله قد تأثّر كثيرا بمصطفى لشرف ولكن يجب التأكيد على أن الأفكار المنهجية لمصطفى الأشرف لا تتوافق مع أفكار سعد الله، لأن مفهوم القومية لم يتم تناوله في القرن العشرين[1].

يدعم العديد من المؤرخين أطروحات أخرى لأبي القاسم سعد الله، يفضل أندريه نوشي فاتين ، وكلود كولوت، وهنري روبرت على وجه الخصوص الاعتماد على ظهور مطالب الأعيان في عام 1912 ويصر روبرت أجيرون ، من جانبه، على حركة المسؤولين المسلمين المنتخبين من القرن العشرين وخاصة تاريخ إصلاحات عام 1919. أما الشيوعيون، من جانبهم، فهم معروفون بأطروحاتهم التي تضع بداية الامة الجزائرية مع ميلاد نجم شمال إفريقيا في عام 1926، ولا سيما رينيه جاليسو بالنسبة لهم، لم يكن الوجهاء والأمير خالد سوى "رواد ثقافيين للبنية التحتية". وهكذا ستظل الأطروحة الشيوعية وفية للتقسيم الزمني للمدرسة الماركسية التي تعطي الأولوية للحركة الاجتماعية للنقابات العمالية والميزة الاقتصادية على الحقائق السياسية والثقافية[2]

المطلب الثاني: مصادره وأسلوبه في دراسة الجوانب الإجتماعية.

يصعب الحديث عن شخصية الأستاذ الدكتور أبي القاسم، نظرًا لتعدد مواهبها الفكرية والأدبية، وتعمقها في مختلف العلوم الاجتماعية والتربوية، ودقة منهجها في البحث العلمي، فهو من المؤرخين الجزائريين الذين اكتسبت أعمالهم جديةً ومصداقيةً كبيرتين، وأصبحت مرجعًا لا غنى عنه، حتى إنه استحق عن جدارة لقب

التاريخية يسعى إلى رفع مستوى الوعي لدى أكبر عدد من الفرنسيين حول القضية الجزائرية. لكي لا نتطرق بعد الآن في وسط المهاجرين الجزائريين وحدهم، يقوم الأشرف بتنويع الصحف التي ينشر فيها، يكتب ويقدم مقالاته إلى Esprit (1954-1955) ثم إلى Les Temps Modernes، ثم إلى المجلات المهمة في المجال الفكري الفرنسي التي تدافع عن خط محايد، أي خط يجمع بين الاشتراكية والاستقلال عن كليهما، ينظر،

STORA (Benjamin), Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens (1926-1954), Paris, L'Harmattan, 1985, p. 111. Pour la formation intellectuelle de M. Lacheraf, voir l'article de LARDJANE (Omar), « Mostefa Lacheraf : solitude d'un penseur de l'algérianité maghrébine », Réflexions et perspectives - Université Alger 2, n° 2, décembre 2012, p81-78.

[1] أبوالقاسم سعد الله ، إشكالية الكتابة التاريخية، جريدة الشعب 1990، ص52-55.

[2] جمال ورتي، مظاهر امتداد سلطة الإيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري قبيلة الحنانشة نموذجا(1637-1830)، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق آهراس. ص78-81.

شيخ المؤرخين لكل باحث في تاريخ الحركات الوطنية الجزائرية والتاريخ الثقافي للجزائر. كما أنه شخصية بارزة في عالم الأدب والثقافة والفكر، يتمتع بإشعاعٍ باهر، لا يقتصر على الساحة الجزائرية فحسب، بل يمتد إلى الساحة العربية والدولية، فهو من الأقلام الجزائرية النادرة التي ظهرت في مطلع الخمسينيات على صفحات الصحف والمجلات ودور النشر العربية والعالمية، للتعريف بشخصية الجزائر وقضيتها العادلة. لهذا كله، أشرتُ إلى أن الحديث عن عالم سعد الله يصعب فهمه والتعرف عليه، أما إجتماعيا فقد حاول أن يبرز دور الجزائر في نشر الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس وصقلية وإفريقيا، غير أنّ جوهر المسألة يكمن في توظيف المؤرخ الجزائري للجوانب الفلسفية والمنهجية التي أخذها عن أساتذته بأمريكا[1].

بالمعنى الواسع (تاريخ المعرفة، تاريخ الممارسات الثقافية، التاريخ الاجتماعي للسياسة، إلخ). وفي الحالة الجزائرية، يستفيد هذا الهدف من تضافر عوامل إيجابية: ماضي التاريخ الاجتماعي للجزائر المستعمرة، الغني بالمراجع والمؤلفين، ولكن أيضا الديناميكية الحالية للتأريخ وتدويله، وستركز التدخلات بشكل خاص على تحليل العلاقات الاجتماعية بين السكان، والوضع الاستعماري الذي تم التقاطه ووصفه من خلال تحقيقات أرشيفية جديدة، وستكون أساليب العمل ومسألة المصادر موضع اهتمام خاص. من الناحية الزمنية، سيتم وضع حرب الاستقلال ضمن الفترة الطويلة من السيطرة الاستعمارية.

ولكن من المهم عدم الاقتصار على الأسئلة الخاصة بالجزائر، المرتبطة بالمسار الخاص لتاريخها، والذي تطور بشكل مستقل عن التيارات الرئيسية في تاريخ الاستعمار. ومن هنا يطرح السؤال حول خصوصية الوضع الجزائري. اذهب إلى هناك ويضيف الرغبة في تقديم كل الطرق للنظر إلى هذا المجتمع في القرنين التاسع عشر والعشرين: مجتمع جزائري في المقام الأول، مستعمر، ريفي ومتماهٍ مع الإسلام، ولكن أيضًا مجتمع استعماري حضري في الأساس، مع انقسامات ملحوظة وفقًا للوضع القانوني للسكان، وظروفهم الاقتصادية وكذلك ممارساتهم الثقافية واللغوية والدينية.

وبحكم إنتمائه إلى منطقة وادي سوف، التي تقع جنوب شرق الجزائر، وتنتمي إلى العرق الشرقي الكبير، يحدها من الشمال إقليم الزاب[2]، بسكرة والزرائب، ويمتدّ حتى جبال الأوراس والنامشة، وإلى منطقة نقرين في الشمال

[1] الطاهر بونابي ، منهج أبو القاسم سعد الله في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط، ص334.

[2] إن الحركية التي أسهمت فيها أفكار مدرسة الحوليات الفرنسية، بالأخص في الجانب المتعلق بالمواقعية، قد أدى إلى توجه الباحثين نحو هذا الميدان البحثي الجديد، من خلال ربط تسمية المعالم الجغرافية خلال العصر الوسيط بوضعياتها خلا ل الفترات القديمة من التاريخ المغاربي. هذا الربط سيؤدي حتما إلى فك الغموض الناتج عن عملية التعريب التي مست مختلف المواقع ببلاد الزاب عموما، وجزئه الشرقي

الشرقي، ومن الشرق، الحدود التونسية من نفطة ونفزاوة مرورا ببير رومان ومن الجنوب واحات غدامس، ومن الغرب وادي ريغ، تقرت، وتماسين وورقلة[1].

فإنّ المؤرخ أبو القاسم سعد الله يعتبر أنه من الأساسيات الأولى لتوطين المجال وتنظيمه هو الموقع الجغرافي، وبالنظر إلى موقع وادي سوف الطبيعي ومؤهلاته المناخية، فقد استوطنته جماعات مختلفة محلية (بربرية أو أمازيغية) وإن كنت أفضل استخدام مصطلح الجماعات المحلية بدل مصطلح البربر، بالإضافة إلى عنصر العرب الذين توطنّوا مع الفتوحات الإسلامية والهجرة الهلالية ولا ننسى عناصر قديمة تعايشت مع قبائل زناتة ولواتة وهم اليهود.

أما بخصوص الموضوع المطروح بشأن الإنقسام بين العرب والبربر في المغرب الأوسط، يشير إلى أسئلة متعددة، النقطة المركزية فيها هي مسألة الهوية من هم البربر، ترتكز محددات الإجابة من طرف أبو القاسم سعد الله على فترة حاسمة في هذه الإشكالية، وهي الفتح العربي، إن تعريف البربر دائما تمت مواجهته بنظرائهم العرب، وهذا هو السبب في ضرورة الإنفصال عن التحيزات الأيديولوجية، إذ يستمرّ استخدام مصطلح البربر إلى غاية القرن 3هـ، من طرف السكان أنفسهم، إلى جانب إستمرارية مصطلح الروم والأفارق، هذا يقودنا إلى الإعتقاد بأن هذه المصطلحات قد تم تحديدها في وقت متأخر تماما كما تشكلت قصة الفتح.

لا ينبغي تجاهل المشاكل الخاصة بالمصادر العربية الإسلامية، ولكن من الواضح أنها تعقد الأمور، فالطريقة التي إستوعب بها المؤرخون هذا السؤال غالبا ما جعلت الناس ينسون أن مؤلفي العصور الوسطى يتخذون تقليدا

خصوصا، وسيكون للجانب اللغوي هو الآخر دور أكيد كأحد المحاور المساعدة لتحديد الدلالات اللغوية للتسمية، وكذا الأصل والمرجعية التاريخية لهذه المعالم الجغرافية أو المواقع. وعليه، سيكون لمختلف المصادر العربية المتوفرة للفترة الوسيطة دور مهم مقترنة بمختلف المصادر القديمة بشتى أنواعها: الأدبية –المسيحية– الإيغرافية...الخ. فانطلاقا من مقاربة المعطيات بين الفترتين، ستسهل على الباحث في ميدان الطوبونييما كعلم قائم بذاته، من الوصول إلى نتائج أقل ما يقال عنها شبه دقيقة، وقد تكون نهائية في أحيان أخرى .وانطلاقا من هذا، فالإشكالية الرئيسية للموضوع تتمحور حول التغيرات التي طرأت على المجال الشرقي لبلاد الزاب في جانبي الطبونيميا والمسالك، من خلال مظاهر التواصل والانقطاع في هذا المجال الجغراف، للمزيد من المعلومات حول إقليم الزاب ينظر، زياني الصادق، نظرات جديدة على تاريخ الطوبونيميا والمسالك للزاب الشرقي(1هـ–9هـ/7م–15م)–فصول في التواصل والإنقطاع– مجاة تراث الزيبان، العدد2، 2019، ص139.

[1]علي غنابزية ، مجتمع وادي سوف منذ فجر التاريخ إلى أواخر العصور الوسطى، جامعة الوادي، ص27.

محصورا بين القرنيين 2-3هـ، هل بربر ابن عبد الحكم هم بربر إبن أبي دينار القيرواني[1]، يبدو أن المعرفة العربية عن البربر قد تأخرت وأعيد بناؤها لتتوافق مع طريقة معينة في التفكير[2].

ومن أهم القبائل البربرية التي استوطنت بلاد مصعب أو وادي سوف نجد: هوارة، لواتة، وزناتة.

كما توافدت العديد من القبائل العربية إلى وادي سوف خلال الفترة الإسلامية، من بلاد قسطيلية وإقليم الزاب وريغة، واندمجوا مع السكان المحليين او ما يطلق عليهم تاريخيا اسم البربر، وعرفوا عمارة القصور على الأطراف الصحراوية، فنتج عن هذا التفاعل ظهور قرى جديدة، كنتيجة للتحوّل المجالي على غرار: قرية الجردانية والنازية، ومن أشهر القبائل العربية على الإطلاق التي عمرت منطقة بلاد مصعب قبيلة عدوان العربية، التي أنشأت خمسة قصور: المدينة، المعاوي، مجور، الفلاة، وأم العز، حتّى قدمت عليهم قبيلة الطرود العربية من باجة التونسية فدخلوا في صراع حيث انتصر الطرود ونزحت عدوان إلى وادي ريغ[3].

أما بخصوص البرانية وهو الوافدون على المدينة من مدن ونواحي أخرى خاصة تونس لانّ المنطقة كانت تستقطب الكثير منهم للتجارة والمعاش أو للإستقرار، وفي الدراسة التي اجراها أبو القاسم سعد الله في منظومة الأسماء السوفية وجد أنّ العديد يذكر بنسبته إلى مدينته الأصلية التي جاء منها، كأن يسجلّ محمد بن عبد الله الصفاقسي نسبة إلى مدينة صفاقس التونسية، أو السايح بن العربي العقبي نسبة على مدينة سيدي عقبة ببسكرة[4].

أما اليهود فيذكر المؤرخ أنّ تواجدهم بالمنطقة يرجع إلى فترات قديمة سابقة عن الفتح الإسلامي، واتضح خط هجرتهم إلى المنطقة مع دخول الفاتحين، في جيش عقبة بن نافع، وأثناء الهجرة الهلالية كان من بين القبائل العربية المهاجرة يهود عرب من قبيلة دريد نزحوا إلى الجنوب التونسي ومنه تسللوا إلى المنطقة، دون

---

[1] السؤال الذي يمكن طرحه حول عمل هذا المؤرخ هو المعرفة التاريخية التي يمكن أن ينتجها، حينما إعتمد إستكمال تاريخ الزركشي بالإعتماد حصريا على الذاكرة الجماعية التي تم جمعها من الشهادات الشفوية لمنتصف القرن 17، للمزيد من المعلومات حول مؤلفه وطريقة عمله ينظر:
Abdelhamid Henia, quand l'historiographie tunisienne se fait prisonnière de l'état.

[2] 64Soléna Cheny, opcit, p252.

[3] عبد العزيز حسونة ، عمارة القرى المبكرة في وادي سوف، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد5، العدد2، 2021، ص406-407.

[4] الجباري عثماني ، منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف خلال الفترة(1882-1937)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد4، 2014، ص204.

أن ننسى أن هناك مجموعة يهودية نازحة من إقليم توات وتمنطيط هؤلاء ملكوا التجارة والمال، عن طريق الفساد والرشوة، وأصبحوا مع مرور الزمن عنصرا منصرا في المحيط الاجتماعي والثقافي السوفي[1].

المبحث الثاني: تحليل نصوص أبو القاسم سعد الله حول الحياة الإجتماعية

المطلب الأول: أبرز القضايا الإجتماعية التي تناولها.

عرف الجزائريون خلال فترة التواجد العثماني العديد من التغيّرات على مستوى البنية الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن التحولات السياسية والعسكرية، ويرى أبو القاسم سعد الله أنّ هناك تباينا واضحا بخصوص التحديد الديمغرافي للسكان الجزائريين في الإيالة، كما تطرق إلى موضوع زيارة الأضرحة، والوازع الديني، والحالة الصحية، والمستوى المعيشي، وتقييم الحالة الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني، لاسيما في مجال الطقوس، والممارسات التعبدية، والاعتقادات المتداولة بشأن الأضرحة والمقابر. وتجدر الإشارة أن ارتباط الجزائريين بالدين الإسلامي، وتمسكهم بتعاليمه واحترامهم لمؤسساته، قد اتخذ وتيرة منتظمة إذ لم تشهد الجزائر، خلال فترة الحكم العثماني، أية ثورات ذات طابع ديني (عدا تلك المنسوبة لبعض قادة الطرق الصوفية، والتي ارتبطت في الواقع برفض الأعباء الضريبية، كثورة ابن الأحرش والدرقاوي)؛ ولم تعرف أيضًا الفتن المذهبية، ولا الحركات المتطرفة. لقد ساد عمومًا الانسجام والتوافق بين المذهبين: الرسمي الحنفي والشعبي المالكي، بل إن التسامح الديني امتد حتى للطوائف الأخرى كاليهود والمسيحيين[2].

أما فيما يتعلق بالعادات والتقاليد ذات العلاقة بموضوع الأضرحة، فقد ارتكزت أساسًا على جانبين رئيسيين هما :أولاً، الاحتفاظ بالتراث الثقافي في بعديه المادي **واللاّمادي** والذي طالما توارثته الأجيال حتى قبل العهد العثماني. وثانيًا، المنظومة الاجتماعية التي غلب عليها الطابع القبلي، مما أفرز تجذرًا لفكرة أو مبدأ الولاء والخضوع لسلطة شيخ القبيلة وتقديس الأولياء الصالحين والمرابطين والشرفا ومن الملفت للانتباه أن السلطة العثمانية بالجزائر تذبذبت في اهتمامها بالمجال الصحي للسكان، فلم تكن هناك مستشفيات بالمفهوم المتعارف

[1] الجباري عثماني ، النشاط الاقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن 19م على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات، العدد14، 2012، ص307.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص9-10.

عليه آنذاك، وكان الأطباء في الأغلب من الأجانب سواءً المستقدمين خصيصًا للعلاج، أو من الأسرى والأرقاء. وكثرت الأمراض طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، لاسيما منها الأوبئة كالطاعون[1].

المطلب الثاني: رؤيته وتفسيره للحياة الإجتماعية في الجزائر العثمانية.

أكدّت المدرسة الكلونيالية على تسمية العثمانيين في الجزائر بالأتراك، في محاولةٍ لإثارة النّعرات القومية، وتأجيج الصّراعات العِرقية والمذهبية بينهم وبين العرب والبربر، لصنع ايديولوجية عرقية ومذهبية ومن أمثلة ذلك ما قام به المؤرّخ الفرنسي ''دي غرامون'' الذي ألّف كتابًا تحت عنوان: (الجزائر تحت السّيطرة التركية)، فنجد كلّ الكتابات التاريخية الفرنسية –ومَن تأثّر بها– يسمّون الوجود العثماني في الجزائر بالاحتلال التركي وبالعهد التركي وبالحكم التركي، بدلا من الخلافة العثمانية.

وحذرّ الدكتور أبو القاسم سعد الله من هذا الإنحراف بتسمية العثمانيين بالأتراك، وهو من افتخر بهوية الجزائر ومكانتها على الصعيد القومي والمتوسطي، وفي هذا الصدد يقول: "ومن الخطأ إطلاق كلمة الأتراك على الوَجق وأهل السّلطة خلال العهد العثماني في الجزائر فالصّفة الموحّدة للوَجق هي العثمانية وليست التركية، ثم يقول: ''وقد ذكرت المصادر المعاصِرة للعهد العثماني عددًا من المسؤولين كالباشوات والآغاوات والدايات – وهم الممثلون للسّلطة في أعلى مستوى– كانوا من أصولٍ غير تركية، ابتداءً من خير الدّين نفسه، الذي تذكر تلك المصادر أنّه من أصل إغريقي"[2] ولذلك يرى بأنّ الموضوعية في الحكم على أخطاء وسلبيات هذا الوجود العثماني، وهي طبيعيةٌ ولا يخلو أيُّ نظامِ حكمٍ منها، تقتضي الدقّة في التمييز بين ما هو سلطوي وما هو قومي، فيقول: "فقضية الأخطاء والمظالم حينئذ، يجب تناولها على أساس أنّها (ظاهرة سلطة وليست ظاهرة قومية)[3].

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 المرجع السابق ، ص419-425.

[2] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1996 ص60-65.

[3] ناصرحمادوش، الكتابات التاريخية عن الوجود العثماني بالجزائر، الشروق، 15-8-2020.

المبحث الثالث: نقد وتقييم كتابات أبو القاسم سعد الله.

المطلب الأول: تحليل نقاط القوة والضعف في تناوله للموضوع.

أنهى أبو القاسم سعد الله دراسته الابتدائية في قريته حيث تعلم القرآن الكريم، منغمسا في قيم الأصالة واكتساب الثقافة الأصيلة وهكذا ترسخ في نفسه حب الوطن، هذا الوطن الذي قضى حياته كلها يعمل من أجل سموه وسيادته، والدفاع عنه، والتعريف بتراثه، والمشاركة في ثورته التي يصفها قائلا: "لقد جرت الثورة في عروقي ورافقتني في رحلاتي"[1].

سافر إلى عدة دول منها تونس ومصر والولايات المتحدة طلباً للعلم كان دائمًا يتفوق على أقرانه، مُظهرًا براعة مبكرة، إذ كان يُبجّل المعرفة والعمل، واعتبرهما خير وسيلة لتحقيق الأهداف النبيلة، التي قال عنها: "قلمي لن يفلت مني ولن يعرف استراحة. الكتابة هي داءي ودوائي، غذائي وهوائي الذي أتنفسه عندما أكتب، أكون راضيًا عن نفسي، وأغضب إن لم أكتب، ثم يمر اليوم كأنه سُرق من حياتي[2]

تخصص في التاريخ وكتابة السير والتحقيقات أصدر في عشرة مجلدات كتاب "التاريخ الثقافي للجزائر" وهو أهم أعماله والذي قال عنه: "هدف بحثي هو كتابة عمل يوضح مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الإنسانية عبر العصور".

إن هذا الأمر مهم لأنه يظهر أن الإرادة الوطنية الجزائرية لا ترجع إلى إنشاء نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب الجزائري في نهاية عشرينيات القرن العشرين في الواقع، لا يزال هناك وعي مناهض للاستعمار في الجزائر، وخاصة في العقود الأولى من القرن العشرين. ويسلط المؤلف، وهو مؤرخ معروف ومشهور، الضوء على جذور هذه القومية الثورية الجزائرية في الحركة الكبرى للنهضة والحياة الفكرية العربية[3].

إن الأمة الجزائرية التي خرجت من المقاومة، كانت منظمة بشكل متناسب حول الدفاع عن قطاعات مستهدفة بشكل خاص من قبل الاستعمار، وهي الإسلام واللغة العربية: قطاع يقع بشكل كبير في مركز نشاط جمعية العلماء، التي يثبتها التاريخ المدرسي كقطب هيكلي للنضالات الجزائرية ضد الاستعمار.

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص52.

[2] المرجع نفسه، ص274.

[3] المرجع نفسه، ص277.

علاوة على ذلك، فإن الدليل الجزائري يحظر بشكل واضح إلى حد ما الانقسامات الاجتماعية والثقافية. وهكذا فإن التركيز على وحدة الشعب الجزائري، على "نحن" الوطنية، يتحدى القارئ كمواطن في المجموع الوطني ويدعوه إلى قمع انتماءاته الخاصة، أو ما يسمى بالإقليمية، داخل نفسه وهكذا لن يكون هناك في أي مكان أي شك في الخصوصية اللغوية للقبائل، أو أي منطقة أخرى، ولا حتى في هذا الصدد، الطقس الإباضي، مزاب، (الذي أعيد تأهيله فجأة في كتيبات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والتي تتحدث عن أنه قادم من حركة الخوارج، ومن ثمة فإن الفحص الدقيق للمفردات من شأنه أن يظهر أن هذه الديناميكية القمعية التي تتعزز من خلال استخدام الكلمات المهينة عندما يتعلق الأمر بمناقشة تأكيد الأقلية.

يميل دليل أبو القاسم سعد الله إلى إضفاء طابع مثالي على الهوية الوطنية وإحداث آلية لقمع التعلقات العرقية، وحتى الرقابة الذاتية، لأنه في بناء الأمة والدولة، هناك ما هو أكثر إلحاحًا، وهو الاتحاد ضد الخارج، والشر الذي يأتي من الاستعمار الجديد والإمبريالية، وحتى من "أعداء الإسلام" و"الأمة الجزائرية".

بالإضافة إلى دوره في تشكيل الذاتية السياسية، فإن أبو القاسم سعد الله له الدور كذلك في المساهمة في بناء الهويات، وقد يبدو من المدهش أن يتمكن كتاب التاريخ الثقافي من بناء صورة متجانسة للهوية عبر تعدد الفئات والطبقات الاجتماعية والمناطق والأعراق ودون الخوض في المشاكل السياسية التي تثيرها مثل هذه التفاعلات، دعونا نلاحظ ببساطة أن الكتب المدرسية الجزائرية لا تتردد في الاستجابة لهذه المشاكل وبناء نموذج فريد لا يقبل الجدل للهوية.

هكذا تمت معالجة الجانب الإجتماعي لتاريخ الشعب الجزائري في مؤلفات أبو القاسم سعد الله دون أن يترك أي مجال للشك بوحدة واستمرارية الهوية الجماعية المتخيلة على النموذج العربي الإسلامي الوحيد، كأحد مكونات ثلاثية الشخصية الجزائرية: "الإسلام، العروبة، الأمازيغية"، ووفقًا لشعار العلماء أثناء النضال ضد الاستعمار، تم تعريف الأمة الجزائرية بأنها "عربية ومسلمة" وبالتالي الإعتراف الواضح لتنوع السكان الجزائريين، واستمر الدليل في بناء صورة الهوية الجماعية.

المطلب الثاني: مدى إعتماده على منهج العلمي في تحليله للحياة الإجتماعية

إن التاريخ عبارة عن بناء، ولكن لفهم ممارسته، هناك مفهومان أساسيان الأول هو المصادر المنهجية والثاني هو الطريقة، وهو المفتاح الذي إعتمد عليه المؤرخ أبو القاسم سعد الله سواء من ناحية المصادر أو من ناحية المنهج.

لقد ركز المؤرخ على منهج دراسة الحالة تعد في الواقع أحد مناهج البحث النادرة التي تجمع بين الملاحظة المباشرة والمصادر الوثائقية المختلفة المتعلقة بالممارسات والخطابات ذات الصلة بموضوع الدراسة، المعنونة بالحياة الإجتماعية في الجزائر العثمانية، إذ أن هناك عدة طرق لدمج دراسة الحالة في مسار التأمل، هذه المساهمة تم تقديمها، ثم مقارنتها بواقع المجتمع الجزائري لاحقا في الغزو الفرنسي.

إن غياب الأعمال الجادة حول الامة الجزائرية في ذلك الوقت، والنهج المختصر للمؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا وفسروا في الغالب تاريخ الجزائر وخاصة تطورها كعضو فعال في البلدان النامية وزعيمة البلدان المستقلة حديثًا، ألهم مشروع أبو القاسم سعد الله، وكان مترجماً ممتازاً، ومن أبرز مؤلفاته كتاب "حياة الأمير عبد القادر" الذي ترجمه من الإنجليزية إلى العربية سنة 1971، وهو من تأليف الكولونيل تشرشل وهو عمل قيّم وهذا كتاب تمت ترجمته أيضًا إلى الفرنسية بواسطة ميشيل هابارت. وحقق الكتاب نجاحا كبيرا حيث صدرت منه أكثر من تسع طبعات فالمؤرخ في الواقع يتولى مهمة الصحفي حينما استخدم الأرشيفات التي لا يملكها الصحفي[1].

بين عامي 1760 و1840، كان أبو القاسم سعد الله المؤرخ الجريء الذي كتب تاريخ الجزائر بكلّ شجاعة لمعالجة مختلف القضايا الإجتماعية للشعب الجزائري في مرحلة الحكم العثماني والتي ذكرناها سابقا، بشكل كامل ومستقل عن نظريات المدرسة التاريخية الفرنسية ومن الواضح أن المؤرخ أبو القاسم سعدالله بنى مكانة مستحقة بين المؤرخين المتخصصين في كتابة تاريخ الجزائر في تلك الفترة[2].

[1] المختار الطاهر كرفاع ، أبو القاسم سعد الله بين وطنيته الجزائرية وقوميته العربية، جامعة الزاوية–ليبيا–، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص32.

المطلب الثالث: مقارنة رؤيته برؤى مؤرخين آخرين مبارك الميلي أنموذجا.

نشر إيف موديران العديد من الأعمال المرجعية حول تاريخ العصور القديمة في شمال إفريقيا، وعندما ينظر إلى المصادر التاريخية العربية التي تتناول غزو شمال أفريقيا، فإنه لم يعد يتعرف على العصور القديمة المتأخرة، فظهرت كتابات مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني التي كان أبرز أهدافها هو تزويد المعلمين في شبكة المدارس الإصلاحية التي تم تشكيلها بموسوعة تاريخية موسوعية تمكنهم من تقديم تدريس متجانس وموحد لتاريخ الجزائر العربية الإسلامية.

ولم تعد هذه المدارس مدارس قرآنية أو زوايا تقليدية، بل أصبحت مدارس حديثة مستوحاة من نموذج المدرسة الفرنسية وفي هذه المؤسسات، سوف يعمل تاريخ الميلي وكذلك أعمال المدني كمحركات للأساطير وبعبارة أخرى، فإنها تشكل إطارًا يسمح للمجموعة بتعريف نفسها في علاقتها بنفسها وفي علاقتها بالآخرين إنهم يقدمون مجموعة من أساطير الأصل، والتي توفر القيم الإجتماعية.

وبالتقاطع مع رؤى أبو القاسم سعد الله إلى إعادة إحياء الأمة الجزائرية وإعادة تأسيسها، ليس من وجهة نظر قومية (دولة قومية)، ولكن بمعنى "مجتمع الذاكرة" الذي يوجد عبر الزمن وله خصوصياته الثقافية والإثنية، وتشارك في إنشاء مجال السيادة الثقافية داخل المجتمع الاستعماري، وقبله داخل السلطة العثمانية، إنها تعيد استخدام الخطاب الاستعماري من أجل تقويضه، وتروّج لهوية الجزائريين الذين لا يختلطون بالأتراك[1].

كما تهدف كتاباته إلى التغلب على صدمة الغزو الاستعماري وبالتالي تحدي العلاقة المهيمنة/المهيمن عليها التي فرضها النظام الاستعماري ويتضمن كتابة قصة شعب يعارض ماضيًا من الوحشية مثل تلك المقدمة في مؤلف "القرون المظلمة للمغرب" لإميل فيليكس غوتييه (1927).

ولا تزال الجزائر تعتبر أيضًا بمثابة ولاية كانت عضويتها في الإمبراطورية رمزية فقط فهذا الوضع لا يثير مسألة قدرة الإمبراطورية على الحفاظ على الجزائر تحت سيادتها فحسب، بل ويثير أيضا مسألة اختلاف التاريخ "الجزائري" عن تاريخ بقية الإمبراطورية العثمانية. وهذا يقودنا إلى اعتبار أن العمليات المشتركة بين جميع الولايات العثمانية هي عمليات جزائرية بحتة. إن المساومة بين النخبة العثمانية في الولاية والمركز ينظر إليها

[1] جبران لعرج، تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد7، العدد3، 2021، ص180-191.

باعتبارها علامة على رغبة الأولى في التحرر من نفوذ الثانية، في حين ينبغي أن يُفهم ليس فقط على أنها إحدى الطرق العثمانية ذاتها لإدارة العلاقات بين المركز وولاياته، ولكن أيضًا على أنها رغبة النخبة الجزائرية في أن تصبح أكثر ارتباطًا بالمركز في الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر مع أعمال هنري دي جرامون (1887) وإرنست ميرسييه (1891) وملاحظة بروس ماكجوان بعد أكثر من قرن من الزمان، لم تتغير صورة "المقاطعات" شبه المستقلة إلا قليلاً[1].

[1] عبد السلام همال، الأسطورة القبائلية البربرية في كتابات المدرسة التاريخية الإستعمارية الفرنسية بالجزائر(1830-1962)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد5، 2017، ص12.

خاتمة

خاتمة

لقد شكلت قضايا المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني محورا أساسيا في كتابات أبو القاسم سعد الله، كما نبه إلى ما شاب الدراسات السابقة من مفاهيم مغلوطة وتفسيرات متحيزة وغير موضوعية، تعود في الغالب إلى جهل بواقع المجتمع وتقاليده وتعاليمه الإسلامية، كما أعرب عن إستيائه من الوضع الاجتماعي السيء الذي عانى منه الجزائريون خلال الحقبة الاستعمارية، حيث اعتبر أن بعض مظاهر التخلف تعود إلى فهم مغلوط للتعاليم الإسلامية، لا إلى الإسلام نفسه. ومن الصعب معالجة تاريخ المجتمع الجزائري في فترة تمتد لنحو خمسة قرون ضمن عمل واحد، بالنظر إلى تشعب قضاياه وتعقيد تحولاته، خاصة مع التحديات السياسية والاجتماعية التي تواجهها البلاد.

لذلك تمثل كتابات أبو القاسم سعد الله إسهاما علميا متميزا في تسليط الضوء على مختلف جوانب الثقافة الجزائرية عبر تاريخها المتنوع، ومن المهم أن ندرك أن هذا الموضوع الذي عالجه، قد تلاحظ عليه بعض الثغرات في معالجة شخصيات معينة، وربما يعزى ذلك جزئيًا إلى قيود الوقت ومدى توفر المصادر الأرشيفية للمؤرخ ، وأحياناً اختيارات المؤلف في التركيز في جوانب معينة أكثر من غيرها، كما انتقد سعد الله الكتابات الأوروبية التي حاولت أدلجة التاريخ الجزائري في فترته العثمانية معتبرا أن التوظيف الاستعماري للتاريخ كان عاملا محوريا في تشويه الحقبة العثمانية.

ويتجلى ذلك في تاريخ الجزائر العثمانية وما أطلق عليه "ظاهرة الجمود الثقافي" نتيجة لتغليب الطابع التقريري أو الإيديولوجي في الكثير من الكتابات، نتيجة للالتباس الذي وقع فيه بعض الباحثين، حيث اختزل تاريخ ثلاثة قرون من الحكم العثماني في سردية اختزالية تقدم الأتراك كمجرد قوة غازية، وحصروهم في خانة المحتلين.

غير أن كتابات أبو القاسم سعد الله قدمت بديلا منهجيا يسعى لتجاوز هذه التمثلات، بالنظر إلى الأدلة العديدة من الوثائق الأرشيفية والآثار المتبقية وأسماء العديد من العلماء الذين رفعوا من شأن الجزائر العثمانية وأدرجهم أبو القاسم سعد الله في مؤلفاته، فرغم ما اتسمت به تلك الفترة من جمود، إلا أنها أثبتت حضورها من خلال مساهمتها في مسيرة الحضارة الإنسانية، كغيرها من الشعوب والأمم.

تميزت الفترة العثمانية بأولوية الجماعة على حساب الفرد، ما انعكس على طبيعة البنى الاجتماعية والثقافية، لذلك فالظروف الخاصة التي مرت بها الجزائر خلال الفترة العثمانية فرضت شكلا من أشكال الكتابة حساساً لواقع اجتماعي وتاريخي معين، فجاء تأريخه انعكاسا لحاجة المجتمع إلى استرجاع هويته الجمعية، فوجد ابو القاسم سعد الله من خلال كتابته عن التاريخ الاجتماعي للجزائر العثمانية نفسه محكوما بنقل التطلعات الشعبية، والتي كان من بينها بشكل أساسي الاعتراف بهوية جماعية مختلفة عن هوية المستعمر. وقد أسهم هذا التمايز مع الآخر الاستعماري في بلورة الشعور القومي، أي إلى هوية جماعية وبعبارة أخرى، أدى النير الاستعماري إلى تفاقم المشاعر الوطنية، التي طغت على أي مشروع فردي.

وأخير نوصي بأن يتم يبني مشروع أبو القاسم سعد الله كمدرسة فكرية تاريخية جزائرية، بتشكيل فرق بحث متخصصة على مستوى الجامعات، وبأن يخصص مشروع أبو القاسم سعد الله كمادة في البرنامج الدراسي الجامعي، وأن يخصص لكتابات أبي القاسم سعد الله ندوات وملتقيات وطنية ودولية.

الملخص:

تعتبر كتابات أبو القاسم سعد الله من ضمن الدراسات الهامة التي تندرج ضمن كتابة تاريخنا المحلي والوطني، لاسيما وأنه مؤرخ له رؤية حداثية ولكنه لا يتنصل من أصوله الإثنية ولا من وطنيته ولا من قوميته لذلك تغلب على كتاباته طابع القومية العربية، وراهن أبو القاسم سعد الله من خلال إبراز تعدد عناصر المجتمع الجزائري من بربر، عرب، يهود، أندلسيين، وإظهار مختلف عادات وتقاليد المجتمع الجزائري على تعدد ثقافة الشعب الجزائري، وتعايشه مع مختلف التيارات والثقافات الفكرية الواردة إليه عبر مختلف الأزمنة والعصور، كما عمل المؤرخ على هدف واضح وهو تحرير التاريخ الجزائري من الأدلجة الفرنسية وتخليصه من رؤى المؤرخين وكتابات الضباط الفرنسيين التي شكلت قاعدة أساسية لتاريخ الجزائر.

Résumé :

Les écrits d'Abou al-Qasim Sa'dallah comptent parmi les études importantes de notre histoire locale et nationale. Historien à la vision moderniste, il ne renie cependant ni ses origines ethniques, ni son patriotisme, ni son nationalisme. Ses écrits sont donc marqués par un caractère nationaliste arabe. En mettant en lumière la diversité des composantes de la société algérienne, notamment les Berbères, les Arabes, les Juifs et les Andalous, et en présentant les diverses coutumes et traditions de la société algérienne, Abou al-Qasim Sa'dallah a misé sur la diversité culturelle du peuple algérien et sa coexistence avec les différents courants intellectuels et culturels qui l'ont traversé à travers les époques. L'historien a également œuvré avec un objectif clair : libérer l'histoire algérienne de l'idéologie française et la débarrasser des visions des historiens et des écrits des officiers français qui ont constitué le fondement de l'histoire algérienne.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

- ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تح، فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009.
- خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تح، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005.
- الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، الشيخ المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- الزهار الشريف، مذكرات أحمد شريف الزهار، تح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1987.

قائمة المراجع.

- أبو خليل سليمان بن عبد الله، الوقف في الشريعة الإسلامية حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والإجتماعية جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية–الرياض، 2008.
- إحسان أوغلو كمال الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، تر، صالح سعداوي، ج2، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، اسطنبول، 1999.
- إسلام حسام الدين، الجوزية حلوى ملكية عثمانية تزيّن سهرات رمضان بالجزائر، جريدة القدس العربي، 27 أفريل 2021.
- آل سيد شيخ سعاد، ملامح من المظاهر العمرانية بالريف والبادية في الجزائر العثمانية: قراءة في بعض كتب الرحلة، مجلة دراسات تاريخية، المجلد10، عدد2، 2022.
- آيت حبوش حميد، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، العدد5.
- بابه عائشة، الأوضاع السياسية في الجزائر في العهد العثماني (1519–1830)، حوليات كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية جامعة مولاي الطاهر سعيدة، العدد4، 2017.
- بلاح بشير، مسارات قلم أبو القاسم سعد الله، مجلة عود الند، العدد63، 2011.

- بلبروات بن عتو، المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف بلقاسمي بوعلام، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006-2008.
- بن بلة خيرة، الحركة التعليمية ومراكزها بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد17، العدد1، 2019.
- بن بلة خيرة، العمارة الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني –بين الطراز المحلي والتأثيرات العثمانية–، دراسات في آثار الوطن العربي، العدد14.
- بن حنيش عبد الباسط، الأغذية والاطعمة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص، تاريخ المغرب العربي الحديث، إشراف، آل سيد الشيخ سعاد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة غرداية، 2021-2022.
- بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، ط1، 1978.
- بن زردة توفيق، مسار وآليات تعمير الريف الشرقي القسنطيني خلال القرن الثامن عشر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة–الجزائر، المجلد33، العدد1، 2019.
- بن يغزر أحمد، فترة الحكم العثماني بالجزائر في كتابات الأستاذ أبو القاسم سعد الله، مجلة البحوث التاريخية العدد 1، 2018
- بوبكر هشام، عياشي بلقاسم، جوانب من الحياة الديموغرافية والإجتماعية للمجتمع الجزائري أواخر الفترة العثمانية (دراسة سوسيو–تاريخية للجماعات السكانية الحضرية المكوّنة للمجتمع الجزائري)، مجلة آفاق العلوم، العدد7، 2017.
- بوحجرة عثمان، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830(مقاربة إجتماعية)رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، دادة محمد، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015.
- بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحوّل في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت–لبنان، ط1، 1991.
- بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- بوزرينة سعيد، حكم الدايات في الجزائر حسن باشا أنموذجا (1205-1212هـ/1791-1798م) سياسته ومنجزاته المعمارية، جامعة نور البشير-البيض.
- بوسعيد عبد الرحمن ،الأوقاف والتنمية الإجتماعيةوالإقتصادية بالجزائر ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستر ،في اطار المدرسة الدكتورالية – الدين والمجتمع –كلية العلوم الإجتماعية ،قسم الفلسفة جامعة وهران، 2011-2012.
- بوشنافي محمد، الجيش الإنكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر (1700-1830)، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف بلقاسم بوعلام، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة وهران، 2001-2002.
- بوشنافي محمد، الداي مصطفى باشا وعصر(1798-1805)، عصور الجديدة، العدد7-8، 2013.
- بوشيبة ذهبية، اليهود والنصارى في الجزائر خلال العهد العثماني على ضوء الوثائق العثمانية والمصادر الغربية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، حنيفي هلايلي، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015-2016.
- بولجويجة سعاد، تطور منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية بين قوة السلطة وطموح العرش 1327-1656م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 2023.
- بومنير سهام، نادية طرشون، أحمد جودت باشا المؤرخ والمصلح العثماني، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية ، المجلد1، العدد3، 2021، ص5-16.
- بونابي الطاهر، منهج أبو القاسم سعد الله في كتابة التاريخ الثقافي للمغرب الأوسط في العصر الوسيط.
- توتة إسماعيل، الإحتفالات الدينية والشعبية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية، مجلة تنوير للبحوث الإنسانية والإجتماعية، العدد14.
- جبران لعرج، تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد7، العدد3، 2021.
- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر، مربي البشير بن سلامة، ج2، ط2، الدار التونسية للنشر، 1985.
- الحاج العيفة، السيرة الذاتية لشيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله، مجلة الدراسات التاريخية العدد 1،2015.

- حسونة عبد العزيز، عمارة القرى المبكرة في وادي سوف، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد5، العدد2، 2021.
- حمادوش ناصر، الكتابات التاريخية عن الوجود العثماني بالجزائر، الشروق، 15-8-2020.
- حمود يمحمد، صورة الجزائر إبان الاحتلال من خلال كتابات الرحالة الألماني موريتس فانغر، مجلة الموروث، العدد2، 2013.
- خالدي مريم، السيرة والمسيرة التعليمية للدكتور أبو القاسم سعد الله، مجلة الخلدونية مجلد 9 العدد1 تبارت 2016.
- دباب زهية، السياسة التعليمية في الجزائر في العهد العثماني قراءة سوسيوتاريخية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد21، العدد1، 2021.
- دحدوح عبد القادر، الزوايا بالجزائر خلال العهد العثماني، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، العدد19
- دحدوح عبد القادر، المعالم الأثرية الإسلامية بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية، قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015.
- دحدوح عبد القادر، صناعة الألبسة بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة دراسات فنية، العدد 1، 2023.
- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512-1543)، الأصالة للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
- دريدي وفاء، مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر ودورها في خدمة المجتمع الجزائري ومجتمعي مكة والمدينة، مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات، المجلد3، العدد1، 2023.
- دوبالي خديجة، الغزو الإسباني على السواحل الجزائرية(911-1505/917-1511)، مجلة القرطاس، العدد 6، 2017.
- ربعي رمزي، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1830)، فرع التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد الشرف مساعدية، 2018-2019.
- زياني الصادق، نظرات جديدة على تاريخ الطوبونيميا والمسالك للزاب الشرقي(1هـ-9هـ/7م-15م)- فصول في التواصل والإنقطاع- مجاة تراث الزيبان، العدد2، 2019.

- زيتوني حمزة إسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد9، 2018.
- سالم أحمد، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، 2011.
- سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1996.
- سعد الله أبو القاسم، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2003.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1998.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الاسلامي ط1 ، 1998
- سعد الله أبوالقاسم، إشكالية الكتابة التاريخية، جريدة الشعب 1990.
- سعدون بخاخ، الجزائريون وصيام رمضان على ضوء الكتابات المحلية والأجنبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، دورية كان التاريخية، العدد46، 2019.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 2001.
- سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-، 1986، ص90-95.
- سعيدوني ناصر الدين، نظرة في التاريخ الإقتصادي للجزائر في العهد العثماني، سيرتا، العدد3، 1980.
- سماتي محفوظ، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر، محمد الصغير بناني، منشورات دحلب، 2007.
- سماحي جواد، البعد الإقتصادي للصدام العثماني الأوربي في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن 10هـ/16م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد4، العدد2، سبتمبر 2021.
- سهيل جمال الدين، ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11م/17م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد13، 2011.

- شعباني بدر الدين، مدينة قسنطينة في العهد العثماني-الأصالة والتراث-، مجلة دراسات، المجلد7، العدد1، 2021.
- شوقي عبد الكريم، تطور الوضع السياسي والعسكري في عهد البدايات العاديين بالجزائر(1671-1711م) مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد7، العدد2، 2023.
- شويتامأرزقي، دور الكراغلة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية (1519-1830)، مجلة أفكار وآفاق، المجلد3، العدد4، 2013.
- صالح محمد، دور الوقف في الحركة الثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وموقف الإحتلال الفرنسي منه، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد2، 2020.
- الصقال مأمون لطفي، إعادة إنشاء المقرنصات في العمارة العربية الإسلامية باستخدام نظرية عائلة المقرنصات، الندوة العالمية لحماية حلب القديمة، 1983.
- عبد السلام همال، الأسطورة القبائلية البربرية في كتابات المدرسة التاريخية الإستعمارية الفرنسية بالجزائر(1830-1962)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد5، 2017.
- عبيد أحمد، التأريخ الجزائري: تقييم ونقد-حالة الجزائر العثمانية، مجلة إنسانيات، 2010.
- عثامنيجميلة، البيوتات العلمية ودورها السياسي في الجزائر العثمانية بيت الفكونأنموذجا(1815-1837)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، عبد الله بابا، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والإسلامية، جامعة أدرار، 2017-2018.
- عثمانيالجباري، النشاط الاقتصادي لطائفة اليهود في مدينة الوادي أواخر القرن 19م على ضوء وثائق المحاكم الشرعية، مجلة البحوث والدراسات، العدد14، 2012.
- عثمانيالجباري، منظومة التسمية في مجتمع وادي سوف خلال الفترة(1882-1937)، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد4، 2014.
- عسول فاطمة، حمادة حمزة ، أبو القاسم سعد الله من السيرة الذاتية إلى المسيرة العلمية-وقفات وقراءات في أعمال أدبية مختارة-، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد23، العدد1، 2022.
- عليوان أسعيد، أوقاف الجزائر في العهد العثماني ومساهمتها الإجتماعية والثقافية، مجلة الإحياء، العدد11.
- الغداميعبد الله، القبيلة والقبائلية هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، ط2، 2009.

- غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1830-1700 مقاربة اجتماعية – اقتصادية المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الرويبية، الجزائر، 2007.
- غطاس عائشة، سجلات المحاكم الشرعية وأهميتها في دراسة التاريخ الإقتصادي والإجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر-العهد العثماني، إنسانيات، العدد3، 1997.
- غنابزية علي، مجتمع وادي سوف منذ فجر التاريخ إلى أواخر العصور الوسطى، جامعة الوادي.
- غواري رزيقة، الزخرفة على المشغولات الخشبية والبلاطات الخزفية بمساجد قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مجلة دراسات، المجلد 12، العدد2، 2024.
- فاتح عرابة، ماهية الوقف عند المذاهب الأربعة وأثر الخلاف فيه، مجلة الثقافة الإسلامية، المجلد16، العدد1، 2022،.
- فارس العيد، الأوضاع الإقتصادية في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، العدد5، 2017.
- فرحات الكاملة، وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية المجلد6، العدد2، 2022.
- فريد محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مؤسسة هنداوي، 2014.
- قشاعي فلة: النظام الضريبي في الريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1837-1771 م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1983.
- كرفاع المختار الطاهر، أبو القاسم سعد الله بين وطنيته الجزائرية وقوميته العربية، جامعة الزاوية-ليبيا-.
- كعوان فارس، المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات: الباشا-الدنوش-البايلك كنموذج، مجلة مدارات تاريخية، المجلد1، عدد خاص، 2019.
- كعوان فارس، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، بيت الحكمة، ط1، 2009.
- كنتور رابح، الجيش الإنكشاري في الجزائر بين 1519 و1830، مجلة أفكار وآفاق، المجلد9، العدد2، 2021.
- لزهاري تريكي، معاوضة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر بين المذهبين المالكي والحنفي، مجلة آفاق علمية، المجلد10، العدد1، 2018.

- لكحل الشيخ، ثورات الجزائريين ضد الأتراك العثمانيين خلال العهد العثماني ثورة ابن الصخري نموذجا، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، المجلد 14، العدد2، 2022.
- مجاني بوبة، من خزائن المخطوطات بمدينة قسنطينة خزانة الشيخ نعيم النعيمي، مجلة إنسانيات، العدد35-36، 2007.
- محرز أمين، الجزائر في عهد الآغاوات (1659-1671)، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008.
- مرقومة منصور، القبيلة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي مقاربة انتروبولوجية، دار الروافد الثقافية، ط1، 2015.
- مؤنس حسين، المساجد، عالم المعرفة، الكويت، 1989.
- نفطي وافية، الوقف في مدينة الجزائر من أواخر القرن18 م إلى منتصف القرن 19م، أطروحة ليل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية ،2016/2017 .
- نمير عقيل، حول أوقاف مدينة الجزائر في القرن الثامن عشر "أوقاف مؤسسة سبل الخيرات من خلال المساجد الحنفية"، الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر أثناء القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر.
- نواصر عبد الرحمن، جوانب من تأثير القرصنة في النشاط الإقتصادي لمدينة الجزائر من سنة (1670-1815م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية المجلد7، العدد2، 2023.
- الهاني سمير، الموروث الثقافي اللامادي .. هنا التميّز الجزائري، جريدة الشعب، 31 مارس، 2023.
- هلايلي حنيفي، الحضور الاندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد25، 2002.
- ورتي جمال، مظاهر امتداد سلطة الإيالة الجزائرية في أرياف الشرق الجزائري قبيلة الحنانشة نموذجا(1637-1830)، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق آهراس.

-المراجع باللغة الفرنسية.

- Ben Hounet, l’Algérie des tribus, le fait tribal dans la haut Sud-ouest Algérien contemporain, thèse nouveau rigime en

vue de l'obtention du dpctorat en anthropologie, EHESS, Paris, 2006.

- Chergui Samia, le waqf et l'urbanisation d'alger à l'époque ottomane, Insaniyat, 44-45, 2009.
- Henia Abdelhamid, quand l'historiographie tunisienne se fait prisonnière de l'état.
- Pascal Duprat, essai historique sur les races anciennes et modernes de l'Afrique septentrionale leur origines, leurs mouvements et leurs transformations depuis l'antiquité la plus reculée jusqu'à nos jours, Paris 1845, Etude sur les migrations des tribus berbères avant l'islamisme, revue africainne.
- Saidouni Nacerdinne, le waqf en algérie à l'époque ottomane, xvii siècle, kuwait, 2009.
- Shuval Tal, 1998. La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle population et cadre urbain. CNRS, Paris.
- STORA (Benjamin), Dictionnaire biographique de militants nationalistes algériens (1926-1954), Paris, L'Harmattan, 1985, Pour la formation intellectuelle de M. Lacheraf, voir l'article de LARDJANE (Omar), « Mostefa Lacheraf : solitude d'un penseur de l'algérianité maghrébine », Réflexions et perspectives - Université Alger 2, n° 2, décembre 2012.

شكر وعرفان.....
مقدمة.....01
الفصل التمهيدي: نظرة عامة على الجزائر في العهد العثماني.....07
الفصل الاول : الحياة الاجتماعية في الجزائر العثمانية 25
المبحث الاول : البنية الاجتماعية ومظاهر الحياة اليومية في الجزائر العثمانية 26
المطلب الاول : الطبقات الاجتماعية 26
المطلب الثاني : العادات والتقاليد 34
المطلب الثالث : الأنشطة الاقتصادية واثرها على الحياة الاجتماعية 39
المبحث الثاني : المؤسسات الاجتماعية.....44
المطلب الأول : المستوى التعليمي 44
المطلب الثاني : المؤسسات التعليمية 45
المطلب الثالث : الاوقاف والخدمات الاجتماعية المرتبطة بها.....51
الفصل الثاني : قراءة تحليلية لكتابات أبو القاسم سعد الله حول الحياة الاجتماعية.....59
المبحث الاول :منهجية ابو القاسم سعد الله في دراسة الحياة الاجتماعية 60
المطلب الاول : الاسس المنهجية التي اعتمدها في كتابة التاريخ 60
المطلب الثاني : مصادره واسلوبه في دراسة الجوانب الاجتماعية 61
المبحث الثاني : تحليل نصوص ابو القاسم سعد الله حولة الحياة الاجتماعية 65
المطلب الاول: ابرز القضايا الاجتماعية التي تناولها.....65
المطلب الثاني : رؤيته وتفسيره للحياة الاجتماعية 66
المبحث الثالث : نقد وتقييم كتابات ابو القاسم سعد الله 67
المطلب الاول : تحليل نقاط القوة والضعف في تناوله الموضوع 67
المطلب الثاني : مدى اعتماده على منهج علمي في تحليل الحياة الاجتماعية.....69
المطلب الثالث : مقارنة رؤيته برؤى مؤرخين اخرين 70
الخاتمة 71
ملخص دراسة 74
قائمة المصادر والمراجع 75
فهرس الموضوعات 85

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
قسم

الرقم: ٢٠٢٥/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه : السيد(ة): لحماري مريم

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 198610120083600001

الصادرة بتاريخ : 19 جانفي 2022 عن دائرة : المسيلة

المسجل(ة)بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل:

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر ' مذكرة ماجستير ' اطروحة دكتوراه) .

عنوانها: الحياة الاجتماعية في الجزائر الحضارية من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 10 جوان 2025

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الصحافة الاجتماعية في الجزائر الصحافة من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله

إعداد الطلبة:

1- لطرش صبرينة ..... رقم التسجيل: .....

2- ..... رقم التسجيل: .....

القسم: التاريخ ..... **الشعبة:** ..... **التخصص:** تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: د/ قوادرية النذير ..... **الرتبة:** أستاذ التعليم العالي

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم